الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان

كلية: الآداب العلوم الإنسانية

تخصص: الحضارة العربية الإسلامية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستير

2013.
Fac/IT.0208

ظاهرة الإستشراق في العالم العربي الإسلامي

العرقي-الاكاديمي-الإستعماري

من إعداد الطالبتين:

❖ بن زلاط أسماء

❖ بن الدين فاطمة الزهراء

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:

❋ سنايسي رابح

السنة الجامعية: 1432هـ - 1433هـ/ 2011م-2012م

TAS_033_56/01

دعـــاء

اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علما اللهم إني أسألك

علما نافعا ورزقا طيبا وعملا مقبلا اللهم احفظ عقلي ودِيني وبك يارب

ثبت يقيني ونشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أن محمد رسول الله صلى الله عليه

وسلم أرسله بالحكمة هاديا ومعلما ليهلك من هلك على نبيه ويحيا من

حيا نبيه

يارب آمين.

تشكرات

الشكر لله الحنان المنان أولا صاحب الفضل والإحسان [illegible] الأكوان وخالق الإنسان ومعلم البيان [illegible] الأستاذ الفاضل والعالم العامل الطاهر [illegible] الناصح في السر و الإعلان الدكتور [illegible] ناصيل [illegible] ليتيي و حرصه على تنوير العقول وتطوير جامعة أبوبكر بلقايد، و [illegible] اللغة والأدب العربي على اهتمامه بنا و مثابرته معنا وإلى كل أساتذة [illegible] والأدب العربي على عطائهم وجهدهم وصبرهم علينا.

كما لا يفوتني أن [illegible] المكتبة الجامعية وحرصهم على نجاحنا.

وإلى كل من قدم لنا العون من قريب [illegible] الذكر الجزيل وفائق الاحترام

ونخص بالذكر "بن زلاط هشام"

وإلى كل طلبة اللغة العربية و [illegible] تير "2" حضارة عربية إسلامية 2012/2011

إهـــداء

إلى من حين تراه العين يزول الهم فأحس بالاطمئنان نسيم الروح وداء القلب المفجوع نبع الحنان و صدر الأمان قرة عيني جدتي الغالية.

إلى أجمل إنسان و أجمل ما في الأكوان إلى من يواسيني و يجعل حياتي كلها أمان إلى من تعب و شقي من اجلي أبي الغالي.

إلى من لي في الحياة وما فيها نور مفرط اللمعان إلى من تفرح لنجاحي بزغاريد وتهاني إلى من سهرت الليالي أمي الغالية.

إلى من اعتبرهم هدية المنان في كل زمان و مكان و منشئ الحبيب مصابيح الدنيا و أنوار اخارينا عائلتي الحبيبة.

بومدين،خيرة حبيبة قلبي،نعيمة توأم روحي،أميرتي المدللة مريم،ولا أنسى عمي عبد الحميد.

والصديقات اللواتي كتبت أسماؤهم في القلب بكل الألوان،نور الهدى،وهيبة،فضيلة،حميدة،خديجة،

وأخص بالذكر خالتي جوهر،كريمة،مريم،ربيحة،

إلى من جعلت جميلها دينا علي صديقتي الغالية أسماء

إلى رفيقة دربي إلى من قاسمتها مر الحياة و حلوها حبيبتي أم الخير.

إلى من ترعرعت على عرش قلبي سليمة و زوجها محمد.

إلى كل من العائلات التي لها من محبة الكون و المعزة الخالصة ابن بومدين بو قاسم،بسايح،بن زلاط،مزراق، بن عزة.

فاطمة الزهراء

إهـــداء

الحمد لله الذي فرح بالبقاء، أهل المدح والثناء، والصلاة على رسوله الكريم وعلى أصحابه ومن تبعه إلى يوم الدين وبعد...

أهدي هذا العمل المتواضع إلى :

شدي قلبي، ونور فؤادي، الحضن الدافئ المرفأ الأمين..... أمي

أطال الله في عمرها ما دامت الجنة تحت أقدام الأمهات.

إلى من تحدي الدنيا، شقي، تعب وجد..... أبي يامعنى للطهر والنقاء يا من تعلمت منك الوفاء، يا من علمتني الشموخ، يا من جعلتني تاج على الرؤوس .

إلى أخي الصغير الذي اتخذت له قلبي مسكنا... .....خالد بن الوليد.

إلى أخي هشام الذي جعل لابتسامة القلوب رمزا للمحبة والاحترام.

إلى كل من عائلة بن زلاط، ساسي ،ابن الدين.وأخص خالي مصطفى

إلى كل من جمعتني بهم أيام الجامعة زملاء، وزميلات....

وفاء وسمية حمبلي، حميدة، خيرة، نعيمة، مريم، أم الخير.إلى توأم روحي حنان،فتيحة زلاط،جلال.

إلى رفيقة دربي فاطمة الزهراء التي جعلت فرحة قلبها وابتسامتها منبعا للأمل ورمزا للأمان.

إلى كل من عرفني من بعيد أو قريب

أهدي ثمرة جهدي .

أســماء

المقدمـــــة

يشكل الاستشراق ظاهرة اتسمت بها العلاقة بين الشرق والغرب فقد استر عت دراسات المستشرقين اهتمام الباحثين واستقطبت انتباه الدارسين والنقاد، وقد أثار بما يطرحه من مقولات عن الشرق وخصوصياته الحضارية المختلفة قضايا فكرية كثيرة ترتبط ارتباطا وثيقا بروح الشرق وهذا من حيث الاهتمام والميادين التي طرقها المستشرقون درسا وتحليلا وتعمقا في البحث .

-وقد باتت الرحلات والتقارير السرية والمعايشات المستمرة رصيدا استراتيجيا لا يكاد يتحرك الغرب إلا بموجبه، واستطاعت هذه التقارير أن تطوق الشرق وتحتويه وتمثله بالكيفية التي أرادها الغرب لصالحه وكان ينبغي لذلك أن يصور الاستشراق إنسان الشرق كائنا مختلفا أولا،ومتخلفا ثانيا،و عاجزا عن تجاوز حالته بنفسه ثالثا بحيث أشرف الاستشراق على رسم صورة الشرق في أذهان الغرب وذلك بناءا على أهدافه التي سطرها وإستراتيجيته الحضارية والمؤسسة على المركزية الغربية .

-ويبدو لنا ونحن نتصفح كتب المستشرقين روح الانفصال والتخصص وروح الانعزالية في الدراسات،ونشعر عند قراءة تحقيقاتهم و شروحهم بانبعاث الروح العلمية خلال فصول كتاباتهم ببراءة المقصد والترفع عن كل دانية أو نابية .

هذا ما يؤدي بنا إلى الوقوف على مختلف منجزات المستشرقين في ميدان العطاء الإسلامي، فالحضور الاستشراقي أمر لا ينكره باحث .

لقد طفق المستشرقون يتتبعون عيون الفنون،فلم يتركوا أدبا إلا واقتربوا منه دارسين ومنظرين ولا تاريخا إلا وخاضوا غماره يناقشونه دون تهيب من الأخذ من كتب التاريخ الإسلامي ولا يتركوا بابا من أبواب الفقه إلا وخاضوه خوض المتمكن المتخصص.وبالعموم فان التراث العربي الإسلامي كان ميدانا فسيحا صال فيه المستشرقون وجالوا ولكن كيف تناول المستشرقون هذا التراث العربي الإسلامي ؟

-أفاق العالم الإسلامي من صدمة الاستعمار وبدأ يجمع شتات القيام بما يجعله يقف معتمدا على مقومات شخصيته التي ورثها عن تاريخه الطويل .

لم يكن المستشرقون بعيدين عن مجال التخطيط لهذا الإنسان الجديد فكان لزاما على الغرب أن يسهم في بناء ثقافة الشعوب المستقلة لان الذاكرة الغربية لم تنس سنابك خيل المسلمين وهي تطأ بلاد الأندلس وصقيليا وشرق أوربا مع الدولة العثمانية .

-قراءة الاستشراف هي إذن وعي لشخصيتنا أننا نرى الذات في مرآة الغرب،إنها اكتشاف التغريب السياسي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي الذي يمارسه الغرب ضدنا بأيدينا .وتهدف هذه الدراسة إلى تصويب المرايا التي نرى فيها أنفسنا،ونقيم من خلالها وجودنا،ونرسم بملامحها سلوكنا ومواقفنا من الأخر .

فلهذا كان توجهنا نحو الاستشراق ،لعلنا نقف على مختلف التوجهات التي تركها المستشرقون في أدبنا،والتي لا زالت قاموسا كبيرا يرتوي منه تاريخ الأدب العربي،وكذلك النقد العربي.لقد أصبح الاستشراق الأدبي إن جازت هذه التسمية،الظل الذي تستأنس له عقولنا فيرشدنا،ويشكل المنظار الذي يحدد أفكار الدارسين و يوجه مناهجهم.

فلهذه الأسباب اخترنا أن يكون موضوع دراستنا ظاهرة الاستشراق في العالم العربي الإسلامي ولمعالجة هذا الموضوع الهام والخطير فقد فرضت علينا خطة البحث أن يقسم إلى فصلين تندرج تحتهما مباحث .

فقد اخترنا للفصل الأول عنوانا هو الاستشراق فعالج المبحث الأول مفهوم الاستشراق والمبحث الثاني نشأة الاستشراق وعالج المبحث الثالث الدوافع التي أدت إلى ظهور الاستشراق

-أما الفصل الثاني فقد سطرناه بعنوان أثر الاستشراق في الأدب العربي الحديث،تناول المبحث الأول الوسائل التي استخدمها المستشرقون لتحقيق أهدافهم،والمبحث الثاني درس ميادين تأثيره،أما المبحث الثالث فتمثل في طبيعة تأثيره

-ثم أنهينا البحث بخاتمة حاولنا من خلالها أن نشير إلى بعض النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة المتواضعة.

ولقد احتاج بحثنا هذا إلى تضافر منهجين هامين متكاملين هما المنهج التاريخي الذي اهتدينا به إلى تتبع الظاهرة الاستشراقية في منبتها وهي تنمو على أيدي أهم المستشرقين،والمنهج الوصفي الذي ساعدت آلياته على التقرب من الظاهرة الاستشراقية ومدى انعكاسها على مختلف القضايا العربية

وأننا إذ نقدم هذا البحث حول محور الاستشراق وعلاقته بالأدب العربي فإننا نسجل خالص وفائنا وجزيل شكرنا لأستاذنا المشرف الأستاذ الدكتور سنايسي رابح على رعايته لنا بالتوجيه العلمي والمنهجي،وفي اتصاله المعرفي بدائرة الاستشراق فتيقنا أن الوقوف على آثار المستشرقين أصبح فرض عين على كل مثقف غيور على تراثه،وقد لمسنا ذلك عندما كان يشير أثناء مراحل البحث إلى كتاب أو ملاحظة يرى أنها جديرة بالوقوف عندها.

فالبحث وصاحبتاه ممتنتان له، مكبرتان إياه، وهذا ليس جديد عليه في المشاركة في الانجاز بكل ثقة وإخلاص.

وفي الختام نجدد أملنا أن يكون هذا البحث لبنة تؤسس لمشروع يحاول دراسة عمل المستشرقين بروح المسؤولية هدفها خدمة الأدب العربي والرفع من شأنه وتصحيح ما يشوبه من التهم المفتعلة التي تظهر من حين لأخر.

و نأمل أن ينال بحثنا هدا رضاكم ويمنحكم و لو فكرة وجيزة عن الاستشراق وخطورته على العالم العربي و الإسلامي،لان اختيارنا له لم يكن صدفة، و إنما لرغبة ملحة دفعتنا إلى هدا كله.

-ونشير إلى أنه قد اعترضنا في مشوار البحث عوائق منها الندرة الكبيرة للمصادر والمراجع أولا، وضيق الوقت بسبب عدم تسلم الأعمال في وقت مبكر، لذلك نتمنى لمن سيأتون بعدنا أن يسعفهم الحظ في بحوثهم أكثر.

يتميز الوطن العربي بمساحته الشاسعة و جغرافيته المتنوعة و هدا ما جعل أنظار الغرب تتجه إليه و لم يسلم أي شبر من الوطن العربي و الإسلامي من هدا البطش الاستيطاني حيث سلبت رؤوس الأموال و إنتاج كل دولة من زراعة وصناعة رئيسية.

وأدى الأمر إلى استغلال رؤوس أموال هده البلدان المستعمرة عن طريق التقنين الغربي للاقتصاد،بل إلى التوجيه السياسي الغربي لهده البلدان وتسويقها إلى بلدان الدول الغربية،من خلال اختلاف المنطلقات الفكرية و السياسة و الاقتصادية لدى العرب بسبب الاستعمار.وأدى إلى فشل العرب في اعتماد سياسة الاكتفاء الذاتي و استغلال ثرواتهم و المحاولة بشتى الطرق على إبقاء الاقتصاد الوطني ضعيفا متخلفا في الإنتاج وفي قاعدته الصناعية ومرتبطا بالغرب.

لقد استغل المستعمر الخلافات بين الدول العربية التي ولدت الكبت و القهر في نفوس مواطنيها و انزوائهم وشعورهم بالغربة داخل أوطانهم،فتمكن من ترسيخ نفوذه في بلاد العرب و المسلمين و الاستئثار بثرواتهم الطبيعية،فعمد إلى التدخل في شؤونها و تأجيج الخلافات العربية الإسلامية بمساندة دولة عربية ضد دولة عربية أخرى.والخلافات الداخلية بتشجيع فريق ضد آخر أو عرق ضد آخر أو قومية ضد أخرى....و هدا كله لتزويد مقومات إشعال الفتن والحروب و استمرارها.

مما أدى إلى العداوة والفرقة بين الشعوب العربية و الإسلامية و التباعد بين أفراد الشعب الواحد حتى أصبح العرب في ضياع بعدما ضاع مجدهم،و علمهم،وتراثهم،ونما و تطور دور المستعمرين و استطاعوا الحصول على الدول العربية بقوة السلاح والمجازر فنصبوا أعمالهم عليها،فأخضعوا الجميع لتسلطهم وسطوهم.

واستطاع الاستعمار أن يلوي عنق الحياة الفكرية العربية و الإسلامية الحديثة و ترك بصمته في ذهن المثقف العربي وأخذ أيضا يحارب الإسلام لأنه يعرف بأنه يعد الركيزة الأساسية لبناء

المجتمع العربي الإسلامي،و يعرف أنه إذا استطاع الوصول إليه فانه يستطيع هدم تماسك هدا العالم.و فعلا لقد تمكن الاستعمار من دلك بحيث عمل وفق مشروع،على إبقاء العالم العربي و الإسلامي في حالة تخلف و تبعية في جميع المجالات الحياتية و لازال يعمل على تشويه التراث العربي الإسلامي للقضاء على الركيزة الأساسية التي تتمثل في الدين الإسلامي واللغة العربية والتاريخ الإسلامي جملة.

الفصل الأول:

تعريف الإستشراق

المبحث الأول: الإستشراق في اللغة و الإصطلاح

المبحث الثاني : نشأة الإستشراق

المبحث الثالث : دوافع الإستشراق

المبحث الأول : حول الإستشراق

أصبح الإستشراق اليوم عالما له كيانه و منهجه ، و مدارسه و فلسفته و مؤلفاته و أغراضه و أتباعه ، و مؤتمراته و على هذا وجب على الباحث فيه أن يعتني بتحديد مفاهيمه و الوقوف على معالمه البارزة في آفاقه و مظاهره ، و أطواره و خصائصه قبل البحث في آثاره بميادينها .

يجب إذن أن نتعرف على ماهية الإستشراق و مجالاته و أهميته في التقريب أو التوفيق بين الشرق و الغرب، أو على العكس في التفريق بينهما ، و أن ندرك من هو المستشرق ؟ و ما حقيقة مهمته ؟ و ما أسباب اهتمامه بهذا الفرع من المعرفة ؟ و متى تحولت الكلمة من مفهومها اللغوي إلى مفهومها العلمي ؟ إنها أسئلة ضرورية يختلف الباحثون في الإجابة عليها بدرجات متفاوتة و على الدارس أن يبحث هذا الاختلاف و يحاول التوفيق بين الآراء و الأفكار لكي يصل إلى تعريف جامع مانع[1]

أ-الإستشراق في اللغة :

الإستشراق كلمة مركبة من الشرق و إضافة على الحروف الزائدة *الهمزة ، السين ، التاء "أ س ت" * و التي تعني في قواعد اللغة العربية طلب الشيء فالإستشراق إذن طلب الشرق[2]

و لفظة "إستشراق" مولدة عصريا استعملها المحدثون من ترجمة كلمة ORIENTALISME ثم صاغوا الفعل المزيد اسما و حدوده ب "إشتشراق" في اللغات الأجنبية مرادف في الفعل العربي ، و الجدير بالذكر أن الكلمة التي نبحث عن مفهومها اللغوي لم ترد في المهاجم العربية المختلفة

[1] -أحمد سما يلو فيتيش : فلسفة الإستشراق ، دار الفكر العربي القاهرة د ط سنة 1998 ص 21 -22

[2] - ابن منظور : لسان العرب دار الصادر ، بيروت ، الطبعة الأولى (1410 هـ -1990م) ص 173

القديمة ، غير أن هذا لا يمنع الباحث من الوصول إلى معناها الحقيقي إستنا ذا إلى قواعد الصرف و علم الإشتقاق[1]

فالواضح أن كلمة "الإستشراق " مشتقة من مادة (شرق) : يقال "شرقت الشمس : طلعت ،واشرقت : أضاءت" قال تعالى('و أشرقت الأرض بنور ربها) أي : و أضاءت الأرض يوم القيامة إدا تجلى الحق للخلائق لفصل القضاء [2]

الإستشراق كلمة عربية خالصة ، و قد استعملها بعض العرب في القرن السابع الهجري " و إن كان استعمالها نادرا جدا فقد ذكرها اليونيني في (ذيل مرآة الزمان) حيث نقل عن أحد الشيوخ قوله : " رفعت يدي متضرعا إلى عالم السر و النجوى و سألته أن يفتح لي رتاج مكنونها ، و بنتاج مصونها ، و يوضح لي منها مخزونها ، و يشرح صدري باستخراج أسرار مضمونها ، فأحست نفسي بأنفاس إجابة دعائها و تضرعها و نشطت إلى إستشراق أنوار الأسرار من مطلعها " فمع أن الكلمة لا تعني ما نفهمه اليوم من مصطلح (**الإستشراق**) فواضح طلب الرجل شروق الأنوار من مشرقها [3]

أما في المصادر الغربية فيمكن الرجوع إلى معجم (لاورس) حيث يعرفه بمايلي " **الإستشراق** : مجموعة نظم موضوعها و غرضها دراسة الحضارات الشرقية "[4]

ب-الإستشراق في الإصطلاح :

بالإطلاع على المعاجم الحديثة ثم بالأخذ بما ذهب إليه العلماء قد يكون بالإمكان القيام بمحاولة وضع تعريف محدد لهذا المصطلح .

---

[1] - إسحاق مؤمن : الإستشراق ، نشأته ، تطوره ، أهدافه ، مطبعة الأزهر القاهرة سنة 1967 ص 01

[2] - عبد الوهاب بن دحان " النص القرآني في الخطاب الإستشراقي الفرنسي الحديث (المرجعية و التشكيل) كلية الاداب و اللغات : جامعة أبي بكر بلقايد 2010- 2011

[3] - المرجع السابق ص 03

[4]- المرجع نفسه ص 03

لقد جاء في بعض المصادر اللغوية الحديثة : " **إستشرق** " طلب علوم الشرق و لغاتهم ، يقال لمن يعنى بذلك من علماء الفرنجة و المستشرق هو عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق و لغاته و آدابه[1] .

يقول "بارت " الإستشراق علم يختص بفقه اللغة خاصة ، و لا بد لنا إذن أن نفكر في المعنى الذي أطلق على كلمة إستشراق المشقة من كلمة "**شرق**" التي تعنى مشرق الشمس ، وعلى هذا يكون الإستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي"[2]

و يعرف "جويدي " عالم الإستشراق قائلا " سمو الوسيلة لدرس كيفية النفود المتبادل بين الشرق و الغرب إنما هو " علم الشرق " بل نستطيع أن نقول إن غرض هذا العلم الأساسي ليس مقصورا على مجرد درس اللغات أو اللهجات أو تقلبات تاريخ بعض الشعوب كلا.... بل من الممكن أيضا أن نقول إنه بناء على ألارتباط المتين بين التمدن الغربي و التمدن الشرقي ليس علم الشرق إلا بابا من أبواب تاريخ الروح الإنساني "[3]

و يرى "ديتريش" أن " المستشرق هو ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق أو تفهمه و لن يتأتى له الوصول إلى نتائج سليمة في هذا المضمار ما لم يتقن لغات الشرق "[4]

و يرى " أحمد حسن الزيات " يراد بالإستشراق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشرق و أممه و لغاته و آدابه و علومه و عادته و معتقداته و أساطيره ، و لكنه في العصور الوسطى كان يقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدين و دراسة العربية لعلاقتها بالعلم [5]

---

[1] - أحمد سمايلو فيتش : المرجع السابق ص 22
[2] - محمد إبراهيم الفيومي : الإستشراق رسالة إستعمار دار الفكر العربي القاهرة مصر د.ط سنة 1993 ص 143
[3] - أحمد سما يلو فيتيش : المرجع السابق ص 24
[4] - محمد إبراهيم الفيومي : المرجع السابق ص 145
[5] - أحمد سما يلو فيتيش : المرجع السابق ، ص 27

و يتطرق " محمد عبد الغني حسن " لعلم الشرق قائلا : " الإستشراق هو اشتغال غير الشرقيين بدراسة لغات الشرق و حضاراته و فلسفته و أديانه و روحانياته و أثر ذلك في تطور البناء الحضاري للعالم كله "

و يشير " حسين الهراوي " إلى علم الشرق فيقول :" و عندي أن الإستشراق مهنة و حرفة كالطبيب (كالطب) و الهندسة و المحاماة و هو أقرب الشبه إلى مهنة التبشير [1]

و يتجه "يوسف أسعد داغر في مفهومه لهذا العلم إلى أن " الإستشراق على إطلاقه و شموله حركة علمية عنيت و لا تزال تعنى بدراسة المدنيات الشرقية ما عبر منها و ما حضر ، و ما طمس ذكره منها و ما استقر و بما خلفته تلك الحضارات و من قوى روحية وآثار روحية و آثار فكرية أدبية و فنية دينية و بما يتصل بهذه الحضارات القديمة ، و بما فيها من شعوب و أجناس و مذاهب و مدارس و ما إلى ذلك من أثر ظاهر ناطق شاهد على الحياة البشرية الحضرية و هو خليق بأن تحييه نشرا و طباعة"[2]

و يتعرض "د شكري النجار لمفهوم الإستشراق و يحدده بثلاثة مفاهيم ، غير أنه يعرض من توضيح ما إذا كانت تلك المفاهيم الثلاثة تطلق على مراحل مختلفة للإستشراق أم أنها تمثل زوايا الإستشراق المتعددة و أبعاده

ت-**مفاهيم الإستشراق الثلاثة :**

01-المفهوم الأدكاديمي :يطلق على كل من يتخصص في أحد فروع المعرفة المتصلة بالشرق من قريب أو بعيد

و كانت هذه الكلمة تطلق على دارس الآداب الشرقية أو اللغات الشرقية أو المتخصص في تاريخ إحدى الدول الشرقية أو حتى المتخصص في سوسيولوجية أو أنترو بولوجية تاريخ إحدى الشعوب

[1] - محمد إبراهيم الفيومي : المرجع السابق ص 146-147
[2] - أحمد سما يلو فيتش : المرجع السابق ص 30

الشرقية ، و يبدو أن هذا الميل القديم لإطلاق مصطلح "**إستشراق** " على كل هذه الدراسات المتعددة المتباعدة المتباينة بدأ الآن في الانحسار إذ لا نكاد نجد عالم الإنتروبولوجيا مثلا الذي يدرس في إحدى الثقافات الشرقية ، يسمي نفسه مستشرقا على غرار ما كان يحدث في القرن التاسع عشر فكلمة **مستشرق** و كلمة **إستشراق** آخذتان في الاختفاء في الأوساط العلمية و الأكاديمية لتحل محلها كلمات أخرى أكثر دلالة على التخصص العلمي [1]

02- المفهوم العرقي :

هو اعتبار الإستشراق أسلوبا للتفكير يرتكز على التمييز الثقافي ، و العقلي و التاريخي ، و العرقي بين الشرق و الغرب

و لقد أدى هذا المفهوم العرقي بعدد كبير من الكتاب و الفلاسفة ، و السياسيين حتى الاقتصاديين ، و رجال الحكم ، و الإدارة أيام الاستعمار إلى أن يتقبلوا فكرة التمييز بين الشرق و الغرب كنقطة انطلاق لإقامة نظرياتهم و كتاباتهم الاجتماعية و دراساتهم المختلفة عن النمو الاقتصادي للشرق و أفكارهم الخاصة عن الشعوب الشرقية و مصائرها

هذا المفهوم الفضفاض لكلمة "**إستشراق** " سمح لنا بأن ندخل في عداد المتهمين بالشرق كل فئات الكتاب و المفكرين و الأدباء و غيرهم ، ممن عالجوا حياة الشرق في مؤلفاتهم بصرف النظر عن ماهية هذه المؤلفات "**كفيكتور هيجو**" و "**دانتي**" **و ماركس** " و غيرهم ....

و هذا المفهوم يؤكد مدى صدق المفهوم الأول الذي يرى أن الالتزام بالأكاديمية و المنهجية العلمية لا يجا مع مصطلح الإستشراق الذي يقوم منهجه كما يوضح التعريف الثاني على التمايز العرقي و العقلي و الثقافي بين الشرق و الغرب .

[1]- محمد إبراهيم الفيومي المرجع السابق ص 147-148

و هذه العرقية كانت من أهم موضوعات الإستشراق و مدخلا سهلا للاستعمار و استغلال الشعوب و باسم التمييز العرقي أعلن الغرب و وصايته على الشرق و أستباح حرمته و استغل ثرواته[1].

ث-**المفهوم الإستعماري:**

هو الأسلوب لفهم الشرق من أجل السيطرة عليه و محاولة إعادة تنظيمه و توجيهه و التحكم فيه.

و هذا المفهوم هو الذي فضح الإستشراق ، و هو يمثل البعد الثالث لرسالة الإستشراق حيث أصبح أداة و وسيلة للتعبير عن التناقض و التباين بين الشرق و الغرب.

فمن أجل ذلك الهدف الاستعماري درس الشرق سياسيا و اقتصاديا و اجتماعيا و إيديولوجيا و علميا بل وخياليا كذلك....و من أجل تلك الرسالة الاستعمارية أصبح الاستشراق يحتل مكانة هامة بين مختلف مجالات العلم و المعرفة لدى الاستعمار و ميول الغرب الاستغلالية

و من هنا كان الإستشراق يمثل مجموعة اهتمامات الغرب بالشرق دينيا و ثقافيا و بضائع و موارد و سوق عمالة " **سوق قطع غيار**" للغرب ، و إرساء فكرة أن العالم الشرقي و الإسلامي يمكن أن يكون معملا للفكر الغربي و البحث العلمي [2].

و من هنا كان الإستشراق أداة استعمارية ساهم بشكل جديا في توسيع الصراع بين الغرب و الشرق و زج بالإسلام في حلبة الصراع ، و انه عليه وحده تقع مسؤولية توتر العلاقات بين الشرق و الغرب ، و تقديم الإسلام مشوها إلى أوربا و وضع الوثيقة الشرعية للصراع الفكري و الثقافي بين الغرب و الشرق فأحدث جرحا عميقا لا يندمل بين الغرب و الإسلام [3]

[1] - المرجع السابق ص 148-149
[2]- محمد إبراهيم الفيومي المرجع السابق ص149
[3]- المرجع نفسه ص 149-151

و هناك أيضا تعريفات متقاربة لمصطلح الإستشراق و يمكن أن نعرفها بشيء من التوضيح و المناقشة على النحو التالي:

01-التعريف العام:

و هو التعريف الذي يحدد الإستشراق بأنه أسلوب فكري غربي (أي منهج غربي) في رؤية الأشياء و التعامل معها ، يقوم على أن هناك اختلافا جذريا في الوجود و المعرفة بين الغرب و الشرق و أن الأول يتميز بالتفوق العرقي و الثقافي عن الثاني.

و من مزايا هذا التعريف أنه يشير إلى النزعة العنصرية الواضحة في الإستشراق بكل أنواعه ، سواء كان الإستشراق الأكاديمي في الأعمال و المؤلفات الأدبية التي تكتب عن الشرق أو في المؤسسات السياسية و الاستعمارية التي يتعامل من خلالها مع الشرق [1]

01-التعريف الخاص:

إن الإستشراق دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون من الدول الاستعمارية للشرق في شتى جوانبه ، تاريخه و ثقافته و أديانه و لغاته و نظمه الاجتماعية و السياسية و ثرواته و إمكانياته ...من منطلق التفوق العرقي و الثقافي على الشرق ، و تهدف إلى السيطرة عليه لمصلحة الغرب و تبرير هذه السيطرة بدراسات و بحوث و نظريا ت تتظاهر بالعلمية و الموضوعية [2]

02-التعريف الثالث :

[1] - أحمد غراب : الإستشراق رؤية إسلامية كتاب ، المنتدى ، البيان د ط ت ص 3
[2]- المرجع السابق نفسه ص 6

هناك تعريف آخر للإستشراق يبدو أن " **د إدوارد سعيد** " مؤلف كتاب " **الإستشراق** "يفصله و هو أن الإستشراق أسلوب غربي للهيمنة على الشرق و إعادة صياغته و تشكيله (**فكريا و سياسيا**) و ممارسة السلطة عليه[1] .

04- التعريف الذي يقترحه أحمد غراب :

هو أن الإستشراق دراسة أكاديمية يقوم بها غربيون كافرون من أهل الكتاب بوجه خاص للإسلام و المسلمين في شتى الجوانب عقيدة و شريعة ، و ثقافة و حضارة ، و تاريخا و نظما ، و ثروات و إمكانيات ....بهدف تشويه الإسلام و محاولة تبرير هذه التبعية بدراسات و نظريات تدعي العلمية و الموضوعية ، و تزعم التفوق العنصري و الثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي[2].

3- المبحث الثاني : نشأة الإستشراق :

أما عن بدايات الإستشراق فقد اختلفت الآراء حوله إذ أن البعض يعود به إلى أيام الدولة الإسلامية في الأندلس حيث تمثل في إقبال المستعربين من الأوربيين على دراسة العربية و جمع المعلومات عن المسلمين ثم ترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية و يدل على ذلك وجود مدونات محملة بتأثيرات عربية واضحة في مضمونها مما يثبت أن مؤلفيها أخذوا مادتهم التاريخية و قواعدهم الحسابية من مصادر عربية.

و بعض الرهبان من البلدان الأوربية قصدوا الأندلس في إبان عظمتها و مجدها و درسوا في مدارسها و ترجموا القرآن و بعض الكتب العلمية إلى لغاتهم و درسوا على علماء المسلمين مختلف

[1] - سعيد إدوارد : الإستشراق المفاهيم الغربية للشرق ت / محمد عناني رؤية للنشر و التوزيع القاهرة الطبعة الأولى 2006 ، ص 12

[2] - أحمد غراب : المرجع السابق ص 6-7

العلوم ، و خاصة الفلسفة و الطب و الرياضيات و من أوائل هؤلاء الذين وصلتنا أسماؤهم الراهب الفرنسي "**جربرت**"[1]

و يقول **د عمر فروخ** إن أوائل المستشرقين منذ القرن الرابع عشر هجري كانوا من الرهبان خاصة ، ذلك لأن العلم كان في ذلك الدور من تاريخ أوربا قاصرا على رجال الكهنوت ، فلا عجب إذن إذا نحن قلنا أن "**جربرت** " **gerbert** الفرنسي الذي أصبح بابا بإسم " **سلفستر الثاني" 999-1003** كان أول المستشرقين [2]

و **بطرس الميجل** 1092-1156م و **جيراردي كريمونا**1114-1187م و بعد أن عاد هؤلاء الرهبان إلى بلادهم نشروا ثقافة العرب و مؤلفات أشهر عملائهم ، ثم أسست المعاهد التي تعنى بالدراسات العربية أمثال مدرسة "**بادوي العربية**" و أخذت الأديرة و المدارس العربية تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية [3]

في حين يعود به آخرون إلى أيام الصليبين حيث لعبت الحركة الصليبية دورا مركزيا على مستوى الأحداث العالمية التي تمحورت في بداية العصر الوسيط و التقاء الشرق بالغرب وجها لوجه و حدوث ظاهرة التمشرق الصليبي و افتتانهم بالشرق .

و يبدو أن الإستشراق قد قام في البداية على جهود فردية لم تكن ذات تأثير على مجرى التفكير العربي مما أدى إلى عدم اتخاذها نقطة بداية للإستشراق لدى بعض الباحثين و من ثم قام اعتبار الحروب الصليبية التي بدأت التعبئة لها في مجمع كلير مونت 1095 على عهد البابا "**إريان الثاني**"

---

[1]- أنور محمود الزناتي : زيارة جديدة للإستشراق (مع دراسات للروية الإستشراقية المنصفة للرسول (ص) مكتبة الأنجلو المصرية ط1 2006ص 65

[2] - عمر فروخ : الإستشراق بحث للمستشرقين (ما لهم و ما عليهم) سلسلة كتب الثقافة المقارنة ، بغداد العدد 1 (د ت) ص 45

[3] - أنور محمود الزناتي : المرجع نفسه ص 65-66

هي البداية الحقيقية للإستشراق و ترجع في الأساس إلى أن الإستشراق قد تبلور كتيار فكري عام[1].

إن الإستشراق اتسع فخرج عن إطار الجهد الفكري أو حتى عن إطار الجهد المؤسسي المحدود ، إلى إطار المشروع الواسع الشامل الذي يستهدف إعادة تشكيل الشرق الإسلامي ليصبح شرقا غربيا إذ الغرب هنا ليس جغرافيا بل ثقافة [2]

و قد تنوعت أنماط و مناهج الإستشراق الديني و أهم المستشرقين فيه هم :

يوحنا الدمشقي (680-750) و بطرس ميجل (1092-1156) ريموندلول (1235-1316) في فترة العصور الوسطى و كل واحد منهم يمثل مرحلة مهمة على صعيد دراسة الشرق و الإسلام بدأت مع الأول الذي دخل في مجادلات مع المسلمين و الثاني أنجزت تحت رعايته أول ترجمة لاتينية للقرآن الكريم عام 1143 في **دير كلوني** في جنوب فرنسا و ارتباط الثالث بإقرار مجمع **فينيا الكنسي** بإنشاء كراسي لدراسة اللغة العربية في كل من "**باريس** " و بولونيا 1312م و حث **لول** على أن يتخذ قرار كنسيا بإنشاء ست مدارس للغات الشرقية في أوربا و الهدف المشترك أن جهود الرجال الثلاثة هو دراسة الإسلام [3]

و يرى الدكتور **رضوان السيد** أن التاريخانية الألمانية و الهولندية و الفرنسية هي التي بلورت على مشارق القرن التاسع عشر المعالم الأولى للإستشراق بمعناه العلمي فقد قام الهولندي **توماس إرينيوس 1624** بنشر كتاب عن النحو العربي باللغة اللاتينية ظل معتمدا طوال حوالي قرنين و ازداد تأثير ه في الألمان عندما قام ميخائيليس عام 1771 بترجمته الى اللغة الألمانية و الفيلولوجا

[1] - أنور محمد زناتي : المرجع السابق ص 67
[2] - إسماعيل أحمد عمايرة : بحوث في الإستشراق و اللغة كلية للأداب الجامعية الاردنية عضو مجمع اللغة العربية الأردني ، دار وائل للنشر ص 427
[3] - أنور محمد الزناتي : المرجع السابق ص 68

كما صار معروفا منذ حوالي قرن هي الركن الأول للتاريخانية الألمانية التي بلغت ذروة ازدهارها لدى المؤرخين الألمان الكبار مثل **رانكه و موس** أواسط القرن التاسع عشر .

فإذا كانت الرومنطقية قد أخرجت النظرة إلى الشرق الإسلامي من دائرة الجدالات اللاهوتية فإن التاريخانية لأمة من الأمم هي السقف المباشرة لعلم التاريخ الأوربي الحديث و للإستشراق الذي ناضل طويلا لكي يكون جزءا من ذاك التقليد التاريخي الإنسانوي فاللغة لدى التاريخانيين منذ ما قبل **دي سوسير** "هي الشيفرة التي تم اكتشاف مفاتيحها (النحو و الصرف و البلاغة علوم اللسان الأخرى)

و من هنا فقد عد الطريق اللغوي الوسيلة الأنجح للتحرر من مقولات الاهوتيين حول الإسلام و الماضي باتجاه معرفة الشرق باعتبارها جزءا من المعرفة التاريخانية المحايدة أو الموضوعية لكن إشكالية الإسلام في ارتباطه الوثيق باللغة العربية و بعكس اللغات الشرقية الأخرى **مثل الفارسية و السنسكريتية و الصينية** أبقت على عسر الاندماج في العلوم التاريخية [1].

و يرى بعض الدارسين المحدثين أن أتساع رقعة الدولة العثمانية و روابطها الاقتصادية و السياسية الممتدة مع مجموعة كبيرة من الدول الأوربية و الغربية كان عاملا كبيرا في دفع حركة الدراسات الإستشراقية آنذاك مع كل ما تحمله هذه الحركة من آثار إيجابية أو سلبية ليتواصل الاهتمام بلغات العالم الإسلامي و العربي و لهجاته ، و حتى الرهبان قاموا بدراسة اللغة العربية ليعينوا أقوامهم على الشعوب العربية و الإسلامية ليتمكنوا منهم في جميع مجالات الحياة الدينية ، و الفكرية ، و السياسية و الثقافية و الاقتصادية و الاجتماعية و حتى النفسية. [2]

و الذي لم يدع الإستشراق يثمر نظرات موضوعية هو ارتباطه بالكنيسة و رجال الدين و لم يأت ذلك إلا منذ نهاية القرن السابع عشر حين مالت بعض الدراسات إلى الموضوعية و العلمية المحايدة للإسلام لا الطاعنة فيه حتى إن كتاب "**الديانة المحمدية** " للمستشرق الهولندي "**هادريان**

[1] - أنور محمد الزناتي : الرمرجع السابق ص 68-69
[2] - المرجع نفسه ص 69

ريلاند" (**1676-1718**) أدرجته الكنيسة الكاثوليكية في قائمة الكتب المحرمة و يمنع منعا باتا بما فيه من الموضوعية و الصحة ، و ذلك خوفا من دخول أفراد كثيرين في الإسلام .

و قد شهد الإستشراق في القرنين السادس عشر و السابع عشر ازدهارا في النواحي العلمية و الدراسية المتخصصة ن ففي القرن السادس عشر و تحديدا عام 1539 تم إنشاء أول كرسي للغة العربية في الكوليج **"دي فرانس"**في باريس و شغل هذا الكرسي **جيوم بوستل** 1510-1581 الذي يعد أول المستشرقين الحقيقيين و قد أسهم كثيرا في إثراء دراسة اللغات الشرقية في أوربا و جمع في الوقت نفسه و هو في الشرق مجموعة هامة من المخطوطات و قد سار على نهجه تلميذه **"جوزيف أسكاليجر"**[1]

و كانت أول مطبعة عربية في أوربا هي تلك التي أمر بإنشائها الكردينال **فرناندو دي مدتشي** كبير دوقات توسكاتا ، و كان يرأس هذه المطبعة التي كان مقرها في **روما** شاب إيطالي من بلدة كريمونا و يدعى **جيوفاني بتستر إيموندي** الذي أقام في المشرق فترة طويلة ، و يحتمل أنه تعلم العربية و على كل حال فإنه أهتم بالخطوط العربية و الحروف العربية و خصائصها ، فاستطاع أن يصنع حروفا عربية مختلفة الأوضاع مفردة متصلة بما قبلها متصلة بما بعدها في آخر الكلمة و أتم حفر و تقطع هذه الحروف العربية المتحركة المرسومة رسما جميلا و إبتداءا من **6سبتمبر 1586** بدأت المطبعة في جمع و طبع أول إنتاج لها و هو كتاب **"القانون"** ابن سينا و معه **كتاب النجاة** الذي هو مختصر الشفاء و تم إنجاز طبع **القانون** و معه **النجاة في 1593**.

أما القرن السابع عشر فقد واكبه اهتمام خاص من طلائع المستشرقين الأولى في الاهتمام بالدراسات الإسلامية و التراث العربي و الإسلامي و الإشراف على نشر هذه الكتب و محاولة تصحيحها و لذا يمكن أن نعتبر أن هذه الفترة تمثل التجارب الأولى لتعاطي المستشرقين للأسلوب

[1] -أنور محمد الزناتي : المرجع السابق ص 69-70

الحديث في تصحيح النصوص التراثية العربية ثم تكاملت و نضجت هذه التجارب في وقت لاحق [1]

و عندما أقبل القرن الثامن عشر كان الإستشراق قد وطد أقدامه و استقل كيانه و تحددت معامله إلى حد بعيد و شهد إنشاء كرسيين اللغة العربية في جامعة "**أكسفورد و كامبريدج 3** كما شهد أيضا **توسعا أوروبيا هائلا وإقبال من الطلاب و الباحثين غير مسبوق** و شرع الغربيون في تأسيس الجمعيات العلمية التي كانت نقطة انطلاق كبرى للإستشراق حيث تجمعت فيها العناصر العلمية و الإدارية والمالية فأسهمت إسهاما فعالا في البحث و الاستكشاف و التعرف على عالم الشرق و حضارته ، و قد أقيمت المعاهد لتعليم العربية و آدابها .

و في 1789 جاءت الحملة الفرنسية على مصر و كان أهم نتائجها الاتصال المباشر المنظم بالشرق و الكشف عن طريق المعاينة و المشاهدة عن أحواله السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية [2]

و كانت هناك محاولات جادة كرستها الحملة لمعرفة مصر و الشرق حتى قبيل قدومها إلى مصر مثل تأسيس المدرسة الأهلية عام 1793 لتدريس اللغات العربية و التركية و الفارسية ، و كان الغرض من تأسيسها هو إماطة اللثام عن الشعوب الشرقية و دراستها بشكل علمي و كذلك إيجاد مجموعة من العلماء و الباحثين المتخصصين في الدراسات الشرقية و الذين أصبحوا نواة للإستشراق العلمي و الذين قاموا بتحرير كتاب" **وصف مصر**"

و قامت فرنسا بإنشاء مدارس لتدريس اللغة العربية مثل "**ريمس وسارتر**" و إنشاء كراسي للغتين العربية و العبرية في باريس و إنشاء كرسي الدارسات الإسلامية و كانت جامعة السربون ولا تزال تلعب دورا هاما في مضمار الدراسات العربية والإسلامية

[1] - أنور محمد زناتي : المرجع نفسه ص 70-71
[2] - المرجع نفسه ص 71-72

و شهد القرن التاسع عشر اهتماما أوربيا بالشرق و ظهرت أسماء معروفة في دراسة الشرق و لغاته و حضارته بفعل دوافع سياسية

و هذه الصفة العلمية للإستشراق كانت نتيجة انفصام الهوة بينه و بين الكنيسة و خاصة في القرن التاسع عشر و تدفق المستشرقين على أقطار الشرق العربي .

و هكذا يمكن القول كما يقول بارت بأن، الإستشراق قد تشكل كعلم في القرن التاسع عشر و ذلك عندما تأكد استعداد الناس للانصراف عن الآراء المسبقة و عن لون من ألوان الانعكاس الذاتي و للاعتراف لعالم الشرق بكيانه الخاص الذي له نظمه الخاصة ، و عندما اجتهدوا في نقل صورة موضوعية له ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا و من ذلك يتضح أنه بتخليص الإستشراق من سيطرة اللاهوت أصبح علما قائما بذاته هدفه دراسة اللغات الشرقية و آدابها و برزت هناك النزعة العلمية نتيجة إلى الآداب و العقائد الشرقية[1] لذاتها مستهدفة المعرفة وحدها إلى حد ما .

و حينما دخل العالم أعتاب القرن العشرين جرت أحداث هامة إلى تحولات خطيرة في العالم العربي و الإستشراق ففي القاهرة أنشئت الجمعية الأهلية التي احتضنها عدد من المستشرقين الذين تولوا التدريس فيها و خرجوا دفعات كبيرة من الطلاب العرب و وفد عدد كبير من المستشرقين للمتخصصين للتدريس بالجامعة المصرية لعل أبرزهم :**نيل لينوا** ، **ماسينيون** ، **شاخت** ، **توماس** ، **أرنولد** ، **كازانوفا** ، **ليتمان** ، الذين حاضروا في الفقه و الآداب العربية و الفلسفة و العلوم و الفن ....إلخ[2]

المبحث الثالث : دوافع الإستشراق :

يبدو الباحث بعد الدراسة و الاستقصاء أن للإستشراق سبعة دوافع رئيسية و ليست ثلاثة كما يظن بعض الباحثين و هي نفسية و تاريخية و اقتصادية و إيدبولوجية و دينية و استعمارية و أخيرا

[1] - أنور محمد الزناتي : المرجع السابق ص 72-71
[2] - أنور محمد الزناتي : المرجع نفسه ص 74

علمية و بجانبها دوافع ثانوية و هي أسباب شخصية مزاجية عند بعض الذين تهيأ لهم الفراغ و المال و اتخذوا الاستشراق وسيلة لإشباع رغباتهم الخاصة في السفر و الترحال أو في الاطلاع علي ثقافات العالم القديم ، و يبدو كذلك أن فريقا من الناس دخلوا ميدان الاستشراق طلبا للرزق عندما ضاقت بهم سبل العيش العادية أو دخلوه عندما قعدت بهم امكانياتهم الفكرية عند الوصول الى مستوى العلماء في العلوم الأخرى ، أو دخلوه تخلصا من مسؤولياتهم الدينية المباشرة في مجتمعاتهم المسيحية .

ونتفق مع محمد البهي في أن الاسباب التي أشار اليها تعد حقا بواعث فرعية ،و ليس من الضروري بحثها بالتفصيل في مثل هذا المكان ، بل سنكتفي بدراسة تلك الدوافع الأساسية السبعة لأهميتها البالغة و هي : [1]

[1] أحمد سمايلوفيتش:المرجع السابق.ص39-40

1) **الدوافع النفسية :** التي تكمن في طبيعة الانسان نفسها من حيث هو كائن حي، و مخلوق مفكر له خصائصه و اماله و أحلامه و أطماعه و أهدافه و نزواته و رغباته و احساسه و لابد له أن يتمتع بوجوده المادي و الفكري و النفسي على حد سواء و من هذه الدوافع أيضا رغبة الانسان الطبيعية في المعرفة و الاطلاع، و نزعته الظامئة للتعرف على حياة الآخرين و أفكارهم، و غريزته التواقة لمعرفة أخبار الناس و أسرارهم و خباياهم و لذته في تحمل المصاعب للوصول الى ميادين مبهمة، و مسائل غامضة،وشغفه الشديد بالتجارة و كسب الأموال واكتناز الخيرات و السيطرة على الآخرين، وجعلهم يتعلقون به و رغبته الشديدة في أن يعتنق غيره مايعتنقه هو من عقائد و أفكار وسياسة و فلسفة، وميله الى التفوق على غيره بطريقة أو بأخرى و أخيرا بحثه المتواصل في عقيدة الآخرين للتأكد من سلامة عقيدته و اتجاهه و مذهبه في الحياة و هدفه منها. [1]

[1]- المرجع السابق ص 46-47

فالإنسان مفطور على حب الإطلاع و هذه الرغبة المتأملة في أعماق نفسه لا يمكن أن تستأصل و هي دافع قوي ينمو بنمو العقل و العمل على طلب معرفة الحقائق الأساسية الكبرى لهذا الوجود و تلك الحياة كما يعمل على البحث في علل الأشياء و علاقة بعضهما ببعض[1].

و مهما يكن الأمر فقد إتضح الآن أن الدوافع النفسية كانت عظيمة الشأن في نشأة الإستشراق و أن لها أثرا كبيرا في إتجاه علمائه و تطور حركته مما لا يدع مجالا للشك في أنها تعد أساسا من أسس إنطلاق هذا العلم الإنساني الرحب إلى أفاق جديد واسعة[2].

02الدوافع التاريخية :

و هي التي تلوح أمام أعين الباحث على الدوام ، إن المعروف أن العلاقة بين الشرق و الغرب كانت عبر التاريخ الطويل تأخذ إتجاه مختلفة من حب لقاء ، و هجوم و عداء و هدم و بناء و إذا أمهن المرء النظر في التاريخ وجد خيوطا واضحة المعالم منذ القدم ، حيث حاول الشرق و الغرب أن يسيطر كل منهما على الآخر و من الجلي أن الغرب كان عبر التاريخ أكثر هجوما و عداءا ، أشد بطشا و قوة و أطماعا و قد ترجع هذه الحقيقة إلى تركيبه النفسي و نظرته إلى الحياة و فلسفته فيها و لكن هذا ما يؤكده التاريخ و ما سجله من أحداث

لقد كانت العلاقة بينهما عبر التاريخ علاقة صراع متواصل ، يلهب و يخمد و يشتد و يتضاعف و تطور بعد إنطلاق الإسلام و إرتفاع المسلمين حتى أصبح منذ ذلك الحين صراعا بالسلاح بقدر ما كان صراعا بالأفكار / و بعد أن إحتل الإسلام مكانه في التاريخ و أحدث فيه اثرا في حركته تأثيرا عظيما ، إضطرا علماء الغرب إلى دراسته و البحث في كل ما يتعلق به لفهم مظاهره و أحداثه المعجزة و قد أحبرت هذه الظروف التاريخية أولئك العلماء للبحث فيها حتى أخذوا

[1] - أحمد سكا بلوفيتش : فلسفة الإستشراق ص 40-41

[2] - المرجع نفسه ص 42

يتساءلون: من هذا الطارق الجديد على أبواب التاريخ؟ من أين جاء ؟ و لماذا ؟ ماذا أرادا ؟ و ماذا أحقق ؟ .

و ما دام قد تربع على عرش التاريخ و تفوق أصحابه على عباقرة أثينا و فلاسفتها و خطباء روما و مؤرخيها ، فيجب البحث فيه و فيما يتعلق به من حضارة و آداب و فلسفة و أديان ، و لم يعد من سبيل إلى الإنكار بأن الإستشراق قد ولد في أحضان الواقع التاريخي و إتجاهه ...فالمهم هو التأكيد على أن ميلاد الإستشراق كان في أحضان دراساتهم هذه و أن الدوافع التاريخية كانت من أسابا نشأة حركته .

فالدوافع التاريخية التي أثرت في حركة الإستشراق إذ أصبح واضحا أن لها دورا بارزا في ظهوره و تطوره و تغذيته على حد سواء [1].

الدوافع الإقتصادية :

و هي من الوافع البارزة أمام كل من له دراية بالعلاقات بين الشرق و الغرب لأنها بطبيعتها تدفع الإنسان لإلتماس سل العيش عبر الأراضي و البحار في جميع بقاع العالم و في سبيل وصول هذا الهدف يشهم سرحه و يستعين بقوته و بطشه ما وجد لذلك سبيلا ، يأخذ و يحتل و يسلب و ينهب و يسيطر و يستعبد و يهدم و يخرب و يعامر بحياته و يقام بحياة الآخرين ز و تسبب هذه الأطماع الجشعة تتابع الهجمات المسعورة للسيطرة على جميع مرافق الحياة في العالم العربي و لذلك كانت النواحي الإقتصادية من أشد الدوافع إالحاحا في إندفاع العرب لتعلم لغات الشرق و دراسة حضارته .

و من ثم كان العالم الإسلامي مجالا إقتصاديا لأهمية قصوى بالنسبة لعدد كبير من التجار الأوربين و تبع ذلك بالضرورة عناية الغربين بداراسة علومة و ثقافته و فلسفته .

[1]- المرجع السابق ص 43-44-45

و من خلال هذه الدراسات أدرك الغرب أنه إذ أراد أين يسامى الشرق و يتفوق عليه فليس له من سبيل آخر يوصله إلى إنتزاع زمام الأمور من يده إلا بتعلم لغاته و ما يتعلق بها من حضارة و علوم و أجرك أنه لكي يتسرب إلى مصادر القوة في الشرق و يمزقها ، يجب عليه أن يتسلح بالقوة الإقتصادية و لذلك تشبث بهذا المحور و جعله هدفه الأسمى و سخر كل شيء في سبيله فطلب التجارة الرابحة و هو أقوى المشجعات البشرية على النشاط و العمل ، كان له أثره الطبيعي في ميول الأمة و مجهوداتها الفكرية ، و بينما كان التاجر يسعى في تحصيل النفع المادي من الشعوب الشرقية [1].

و الدوافع الإيدولوجية:

و هي خطيرة و نافعة في الوقت نفسه إذ تدفع الإنسان إلى ذلك الصراع الفكري المتوصل الذي لا يهدأ و لا يستكين لا إنقطاع فيه و تلك سنة الحياة التي تدفع الإنسان إلى الصراع حتى مع نفسه و أخيه و صديقه و عدوه عشيرته و مجتمعه وحتى العالم بأسره. وتكمن هذه الدوافع في وجود الإديولوجيات المختلفة الإيديولوجية الافراد والجماعات والدول والحكومات والاجناس والقوميات...الخ.

وكلها تسعى لتفرض نفسها على غيرها وتسيطر عليه ويهذف صاحبها إلى أن يكون رئيسا والأخر مرؤوسا وينصب نفسه سيدا وغيره مسودا، ويعيش غنيا ويترك الفقير يموت جوعا فمن الجلي أن أسباب إيديولوجية تكمن وراء ذالك.

يكفي دليلا أن الغرب لم يتردد في سبيل تحقيق أهدافه الإيديولوجية في استخدام الوسائل المشروعة وغير المشروعة، قانونية وغير قانونية، خيرة أو شريرة حتى أرسى قواعده الاديولوجية التي تبرز اعماله ومنها " الغاية تبرر الوسيلة "فرق تسد" "أقتل تعش" " حارب تسيطر"، وما أكثر الأمثال

[1]- أحمد سمايلوفيتش : فلسفة الإستشراق ص 45-46

في فلسفة ماكسفلي وهيرتازل وغرهما ومن هنا لا نشك في الدافع وراء العناية بدراسة اللغات بجميع ألوانها دافع إيديولوجي.

وقد كانت هذه الاسباب الإيديولوجية دفعا قويا في زحف الغرب على الشرق وتعلم لغاته وبحث آثاره ومحاربة أفكاره وإيديولوجيته.

5- الدوافع الدينية:

إن الدافع الأول للاستشراق عند العربيين كما رأينا هوا لدافع الديني، فقد بدأ الرهبان الذين كان يهمهم أن يطعنوا في الإسلام ويحرفوا حقائقه ليثبتوا الجماهير التي تخضع لعامتهم الدينية أن الإسلام وقد كان يومئذ الخصم الوحيد للمسيحية فينظر الغربيين دين لا يستحق الانتشار وأن المسلمين قوم همج لصوص، وسفاحوا دماء، يحثهم دينهم على الملذات الجسدية، ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي، ثم اشتدت حاجاتهم إلى هذا الهجوم في العصر الحاضر بعد أن رأوا الحضارة الحديثة قد زعزعت أسس العقيدة عند الغربيين، وأخذت تشككهم بكل التعاليم التي كانوا يتلقونها عن رجال الدين عنده فيما مضى، فلم يجدوا خيرا من تشديد الهجوم على الإسلام لصرف أنظار الغربيين عن نقدها عندهم من عقيدة وكتب مقدسة.

يقول لروس ماسينيون: وهو استاذ في جامعة فرنسية في باريس والمبشر في قسم الشؤون الشرقية في وزارة المستعمرات الفرنسية "إن الطلاب الشرقيين الذين يأتون إلى فرنسا يجب أن يكونوا بالمدينة المسيحية."[1]

ويتمنى ماسينيون في إحدى مقالاته أن يعود الاعتقاد الإسلامي في رجوع عيسى بن مريم فيتفق مع الحادث الثاني للمسيح النصراني..[2]

[1] المرجع السابق، ص 48-49.
[2] المرجع نفسه، ص 49.

وأخيرا نرى أن هذه الدوافع الدينية قد حملت في طياتها أهدافا عديدة وغايات مختلفة، وعلى الرغم من ذلك فقد ظل جانبها الرئيسي عبر العصور واحدا ألا وهو مواجهة الإسلام والهجوم عليه، ويبدو أن التطورات الأخيرة التي قفزت بالعالم كله إلى آفاق جديدة أوسع مدى وأرحب أفقا من ذي قبل لم تغير كثيرا من اتجاهات العقلية المسيحية وسياسة روما البابوية مما يدل على أن الرهبة المسيحية لم تتقدم كثيرا إلى الأمام وإن تقدم الزمن وتغيرت الأيام.[1]

6- الدوافع الاستعمارية:

وهي بلا شك تمثل النقطة الخطيرة في العلاقات بين الشرق والغرب ومحاولة سيطرة الغرب على الشرق، وسحق قوته واحتلال أرضه واستغلال قدراته، ولهذه الدوافع جذور عميقة زرعت ونبتت قبل الميلاد، ونمت بعده، وازدادت عمقا وشمولا مع اندفاع العرب وسيطرة الإسلام على الإمبراطوريات السابقة ووصوله إلى أوربا واستقراره في بعض أراضيها. عندما رأى الغرب كل هذا شرع يعد قوته لخوض معركة فاصلة معه والسيطرة عليه، فأخذ يتعلم لغته وآدابه وحضاراته وتاريخه لكي يتفوق عليه.

ثم قام بمغامرات صليبية معروفة فحارب الإسلام قرونا و لم ينتصر، ولكن عندما نجح في طرده من الأندلس لم يكتف بذلك، بل واصل استعداده لمواجهة الإسلام في عقر داره واحتلال بلاده والسيطرة عليه.

ويعترف الاستعمار نفسه أن أشد ما يخشاه هو الإسلام وانتشاره لأن له قوته وجلاله وأنه الوحيد بين الأديان والمذاهب الإيديولجية الذي يستطيع أن يقف في طريق أطماع الغرب وسيطرته على العالم سياسيا وحضاريا، دينيا وفكريا، ومن هنا تبرز لنا غايته وهدفه من الاستشراق، وكان لابد للغرب المستعمر من معرفة ما يمكنه معرفته من أحوال هذا الشرق ومداخل السيطرة عليه والاستبدادية[2] ولذلك كله "تلقف الاستعمار هذه الحركة وكان ملوك الدول الاستعمارية رعاتها،

[1] احمد سمايلوفيتش، المرجع السابق، ص 50-51.
[2] احمد الشرباصي، التصوف عند المستشرقين، سلسلة الثقافة الاسلامية، نور الامل، دط، 1966، ص27.

وكان قناصلهم في بلدان الشرق عمالها."[1] ولو تتبع الدارس الأمر بشكل أكثر عمقا وشمولا لوجد فيه شيئا من الغرابة إذ سرعان ما اتخذت أهداف المبشرين مع أغراض المستعمرين وجدوا معاني بناء ذلك الصرح الاستعماري الذي ظل كابوسا رهيبا يجثم على صدور الشرقيين ويكتم أنفاسهم واقتنع المبشرون الزعماء الاستعمار بأن المسيحية ستكون قاعدة الاستعمار الغربي في الشرق وبذلك سهل الاستعمار للمبشرين مهمتهم وبسط عليهم حمايته، وزودهم بالمال والسلطان، وهذا هو السبب في أن الاستشراق قام في أول أمره على أكتاف المبشرين، ثم اتصل بالاستعمار الذي كان له سندا قويا لا يستهان به وحصنا منيعا يعتمد عليه، وسلاحا ينفذ به إلى أهداف شتى وضعت في برنامج الاستعمار والاستشراق معا.

وفي الجملة مكن الاستعمار للمستشرقين في البلاد الخاضعة لحكمه و نفوذه لينشروا فيها فلسفتهم ويحققوا أهدافهم.

واستطاع الاستشراق أن يلوي عنق الحياة الفكرية العربية الحديثة وترك بصمتها في ذهن المثقف العربي حيث تجد الاستشراق أخذ يحارب الإسلام لأنه يعرف أنه يعد الركيزة الأساسية لبناء المجتمع العربي ويعرف بأنه إذا استطاع الوصول إليها فإنه استطاع تحقيق هدم تماسك هذا العالم الواحد، فأخذوا يحاربوا الإسلام أينما وجد، وذلك لإبقاء المسلمين في تخلف وركود فكري وجمود ثقافي، ضعف المسلمين أمام المستشرقين لبث سمومهم، وأرسلوا دعاتهم للتشكيك في الدين والتراث وفي الفكر من خلال البعثات التبشيرية.[2]

وفوق كل هذا أخذت تشكك في القرآن الكريم وراحوا يصفونه بأنه مستسقى من أصول المسيحية ويهودية تلقاها النبي صلى الله عليه وسلم من أحبار اليهود والرهبان.[3]

كما اتخذت الكنيسة في العلم وسيلة لتنصير المسلمين وكانت الوسيطة للمدارس

---

[1] أحمد سمايلوفيتش، المرجع السابق، ص51.
[2] خالد أحمد ابو جندي، الجانب الفني في القصة القرانية، منهجها واساس بنائها، دار الشهاب للطباعة والنشر ، باتنة، دط، دت، ص6.
[3] أ.د. سعود محمود الساموك، الوجيز في علم الاستشراق، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان الطبعة الأولى، 1423هـ-2003م، ص 25.

التبشيرية

أن يدخل المسلمون في المسيحية بالإكراه،إذا لم تنجح الوسيلة الاولى

أغراض عملية: كشف ما تكنه العلوم والفنون الشرقية من كنوز ثمينة ويتقدم هذه الدراسات إتصل حيل المودة بين الشرق والغرب وتوقرت العلاقات العملية بين الدول الشرقية والغربية وكان للمستشرفين فضل في تنمية الافكار بمؤلفاتهم إلى إدراك الحقيقة الخالدة التي طالما أنكر ها الغرب بيون وهي أن المدينة الأوروبية الحديثة مبعثها الشرق وعلومه وحضارته وفلسفته[1]

كان الفضل الاكبر الأوروبا على الشرق كله وهو الفضل الذي جاء على الرغم منها وهو تنبيه أذناه الشرقيين إلى حقائق الحياة وتفتيح أنظارهم على الاسباب الصحيحة التي تقترن بها نهضات الشعوب[2]

ولكن الفضل يعود أصلا إلى علم العرب وثقافتهم ويصرح بعض المفسرين بذلك فيقول " إن ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيها قدموه إلينا من الكشوف مدهشة لنظريات مبتكرة بل يدين هدا العلم إلى ثقافة العربية بأكثر من هدا أنه يدين لها نفسه إن ما ندعو العلم الحديث ظهر في أوروبا نتيجة والملاحظة والقياس وتطور العلوم والرياضيات إلى صورة لم يعرفها اليونان

وهده الروح وتلك المناهج أدخلها العرب إلى العالم الأوروبي"

وإن انطلقنا من هدا الاساسا أقبل الغرب بعد لمائه على الشرق يبحثون وينقبون ويكشفون المتاحف ومعاهد العلوم ومراكز البحوث وكراسي اللغات وأقساسم الاداب وشعب التاريخ والاديان أي العمل على تنصير المجتكع العربي والاسلامي طرق الفهم الخاطئ لمعنى التقدم والتقليد الاعمى فأخذ العرب القشواري تقليدهم وتركو الله فلبسوهم وأكل ما كلهم وسلوكهم مسالكهم في أوقات فراغهم ولهوهم.

[1]- أحمد سما بللوفنيش: فلسفة الاستشراف. ص 51
[2]- عباس محمود العقاد: أثر العرب في الحضارة الأوروبية ، ص 156.

الاقتباص من الغرب الكثير من العادات الفراغ والنزهة و لم تكن كلها مما يوافق حياة الاسرة وواجبات التربية وساء فهم الحرية في بعض البيئات فسبق إلى الاوهام أن الحرية ممن الجملة القيود الوفاء الازواج الابناء[1].

الدوافع العلمية.

هي ذات شأن عظيم في حركة الاستشراق لأن العالم العربي يعد كنزا حضاريا لا نظيرافي بقاء العالم الاخرى. فقيى شيدت حضارات وثقفات ون\ات لغات وفلسفة وولدت علوم والفنون وتركت شرائح وأديان وقد أشارت هده القليم علماء الغرب فاهتموا يدارسهتها وإكتشاف أسرها

وتحقيقات هده الغايات السامية أيقن الغرب أنه لا بد أولا أراد النهوض أن يدرس لغات الشرق وآدابها وحضارتها وخصوصا حضارة الإسلام وما حققه هذا الدين ورجاله من الأهداف السياسية واجتماعية وثقافية، فأقبل المستشرقون على هذه الدراسات بنهم وشغف وانطلق كثير منهم إلى آفاق بنائه استفاد منها الشرق والغرب على حد سواء، ومن الجلي أن الباحث على دراسة اللغات الشرقية في أول الأمر كان دينيا وحربيا في القرون الوسطى ثم تحول بعد ذلك إلى

وونعتقد أنه قد تأكد حتى الان ما لهذه الدوافع العلمية من أهمية الاستشراف ونشأته وحركته فظلا عمالها من الاسهام الفعال في التفاهم بين الشرق والغرب وتنمية العلاقات الانسانية فيما بينهما

أدت جميعها إلى ميلاد الاستشراف وإزدياد الاهتمام به حيث بدأء العلماء والباحثون والرحالة والتجار والمبشرون والدبلوماسيون وغيرهم يتدفقوم على الشرف ويشغلون أنفسهم بدراسة لغاية وأدابهاويشرحون فلسفاته، وقد كان لهده العوامل أثرها الكبير في ميدان الاستشراف[2]

[1] خارط أحمد ابو جندي: الجانب الفنى فى القصة القرانية منهجها واساس بناءها ، ص 11.
[2] أحمد سما بلفيتيش: فلسفة الاستشراف . ص 52.53.

الفصل الثاني

الإستشراق وأثره في الأدب العربي الحديث

المبحث الأول: وسائل الاستشراق

المبحث الثاني: ميادين الاستشراق

المبحث الثالث: طبيعة تأثيره

1/ المبحث الأول: وسائل تأثيره

لقد حدد الاستشراق منذ نشأته جملة من الوسائل من أجل تحقيق أهدافه من بينها:

1- إرسال البعثات العربية إلى أوروبا:

لما تولى محمد علي عرش مصر ظل يرقب الصراع الذي كان يدور فيها بين الأتراك والانجليز والمماليك، وأيقن بدهائه أن مستقبل البلد يتعلق بقوة الشعب لا بهذه القوى الثلاث، فوقف في صفه بكل ما كان له من بصيرة نافذة وبدأ بإنشاء المدارس المختلفة في أنحاء مصر وبإرسال البعثات العلمية إلى الغرب حتى أصبح في نظر المجتمع مجددا لدروس العلم، آتيا في ذلك بما لم يستطعه الأوائل. وعلى الرغم من انه قد اضطر أن يستعين في ذلك بالأجانب فإنه لم ينهج منهجهم بالكامل، فقد كان يعلم جيدا أن معارفهم الحديثة قد وضعت في الكتب التي ألفها علمائهم، ومن هنا أعدّ العدّة لنقل أكبر قدر منها إلى العربية، فأخذ يرسل أعدادا من الشباب إلى أوروبا ليتقنوا علومها ولغاتها، واستطاع أن يُكَوِنَ جيشا من العلماء الذين أسهموا بجد وإخلاص في بناء مصر.

ولقد بقيت أهداف هذه البعثات واحدة لا تتغير على مرّ الأيام، ويكفي أن نؤكد أنّها كانت منذ عهدها الأول وحتى الآن تروج وتعود بأعداد متزايدة حتى لمع بعض أصحابها بما أسدوا من خير إلى بلادهم[1].

2- حضور العرب و المسلمين في مؤتمرات الاستشراق:

لقد بدأت دوائر الاستشراق تتعدد مؤتمراتها الدولية منذ مائة عام تماما، وقد عقد آخرها في يوليو عام 1973م، بمناسبة احتفالها بالعيد المئوي، حيث حضره أربعة آلاف عضو، وكان من توصياته إنشاء اتحادات جديدة فرعية، وإتحاد للغات القديمة يكون مقره القاهرة، واتحاد للدراسات الإسلامية، وآخر للدراسات الهندسية. وخلال هذا القرن من الزمان حضر هذه المؤتمرات عدد كبير من علماء الدين قدموا ببحوثهم أمام أعضائها وشاركوا بأعمالهم وناقشوا مسائلها التي أثارها

[1]- أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق، ص : 544- 545.

أصحابها حول الإسلام والقرآن والرسول (**صعلم**) واللغة العربية وتاريخ العرب وآدابهم ثم عادوا بانطباعاتهم إلى بلادهم.

ومما لاشك فيه أن الذين يحضرون مثل هذه المؤتمرات لابد أن يتأثروا بها وبما يدور فيها من مساجلات وأفكار ودراسات وخاصة أولئك الذين يحضروها أكثر من مرة مثل "**كرد علي**"، "**أمين الخولي**"، "**إبراهيم مدكور**" وغيرهم[1].

3- إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية:

ومن مؤسف أن أشدهم خطرا وعداءا للإسلام كانوا يستدعون إلى الجامعات العربية والإسلامية في القاهرة، ودمشق وبغداد والرباط وكراتشي ولاهور وغيرها ليتحدثوا عن الإسلام.....[2].

وكانت مصر أول دولة عربية قامت بذلك، فهي سبّاقة في كل شيء، وكان من أولئك الذين استدعتهم المستشرق الإيطالي "**جويدي**"، وقد انتدبته أستاذا بها سنة 1908، وكذلك "**فييت**" الفرنسي. وكانا مع غيرهما يلقون محاضرات باللغة العربية، ويكفينا دليلا على تأثير هؤلاء المستشرقين أدبنا المعاصر أن رواده من الأدباء والفلاسفة والنقاد في العالم العربي الحديث قد كانوا من بين أولئك الذين تعلموا على أيدي المستشرقين[3].

وحول هذه الظاهرة العجيبة في توجيه الدعوة إلى المستشرقين الذين يطعنون في الإسلام لإلقاء بحوثهم التي تتضمن أفكارهم المسمومة ضد الإسلام والمسلمين في البلاد الإسلامية، يقول بعض المفكرين المسلمين المعاصرين: "هذا من تقلبات الدهر وعجائب أمره، لقد مرّ على المسيحيين في أوروبا حِينٌ من الدهر كانوا يشدون فيه الرجال إلى الأندلس ليتعلموا كتابهم المقدس –التوراة– من علماء المسلمين، أمّا الآن فقد انقلب الأمر رأسا على عقب حيث أصبح المسلمون –وا أسفاه–

[1]- أحمد سمايلوفيتش: المرجع السابق، ص:546.
[2]- أحمد سمايلوفيتش: المرجع نفسه، ص 547.
[3]- عمر عودة الخطيب: لمحات في الثقافة الإسلامية، ص 206.

يرجعون إلى أهل الغرب (أوروبا وأمريكا) يسألونهم ما هو الإسلام؟ وما هو تاريخه؟ وما هي حضارته؟، ليس هذا فقط بل أصبحوا يتعلمون اللغة العربية منهم، ويستوردونهم لتدريس التاريخ الإسلامي....."[1].

4- التحقيق والنشر وإصدار الكتب:

لقد حرص الاستشراق منذ بدايته على نشر الكتب التي تتناول الإسلام من جميع جوانبه عقيدة وشريعة وتاريخا وسيرة، وتناولت هذه الكتب الأحوال الاجتماعية في العالم الإسلامي في مختلف العصور.

ولعل أشهر دور النشر هذه على سبيل المثال جامعة **'أوكسفورد'** التي تطبع مئات الكتب كل عام حول العالم الإسلامي وقضاياه المختلفة كما أن الجامعات الأوروبية والأمريكية لها دور نشر نشيطة، تقوم بجهد يوازي إن لم يتفوق على نشاط دور النشر التجارية البحتة. ففي موقع دار جامعة **'أوكسفورد'** للنشر مئات الكتب التي تهتم بالإسلام والعالم الإسلامي ومن هذه الكتب على سبيل المثال: "**موسوعة أوكسفورد للعالم الإسلامي الحديث**" وتتكون من أربع مجلدات تتألف من 1840 صفحة فقد قاموا بتحقيق الكثير من كتب التراث وقابلوا بين النسخ المختلفة ولاحظوا الفروق وأثبتوها....، منها ما حسبوه أصحها وأعدلها وأضافوا إلى ذلك فهارس أبجدية للموضوعات والأعلام أثبتوها في أواخر الكتب التي نشروها وقاموا في بعض الأحيان بشرح بعض الكتب شرحا مفيدا.

وهكذا استطاعوا أن ينشروا عددا كبيرا جدا من المؤلفات العربية، كانت عونا كبيرا للباحثين الأوروبيين من المستشرقين وغيرهم من بلاد الشرق، وقد عرفنا الكثير عن كتب التراث محققا على أيديهم[2].

[1]- أنور محمود زناتي: زيارة جديدة للاشتشراق، ص ص: 77-78.
[2]- أنور محمود الزناتي: المرجع نفسه، ص 78.

5- التعليم الجامعي و البحث العلمي : و ذلك من خلال الأقسام الجامعية التي تعنى بدراسة العالم الإسلامي وكذا مراكز البحوث الخاصة، بل و فتح جامعات أوروبية و أمريكية في البلاد العربية الاسلامية و من أبرز هذه الجامعات الجامعية الأمريكية التي أصبح لها العديد من الفروع في القاهرة و في بيروت و في دبي و في الشارقة و اسطنبول و غيرها.

6- ترجمة أعمال الاستشراق الى العربية:

كان لنقل أعمال الاستشراق إلى العربية تأثير كبير في أدبنا المعاصر مما أدى الى تمكن عدد ضخم من قراء العربية أن يطلعوا عليها و ويتناولونها وعلى الرغم من عدم وجود هيئة معينة تتولى تتبع هذه الأعمال و دارستها فان المحاولات الفردية قد استطاعت أن تعوضنا عن ذلك في أكثر الأحوال.

و منذ أن بدأت ترجمتها من لغتها الأصلية الى لغتنا أو كتابتها أخذ تأثيرها ينفذ الى الفكر و الثقافة و الأدب، حتى كان يسيطر عليها جميعا بالقوة التي كان يملكها وقد حدث هذا منذ نهاية القرن التاسع عشر حيث بدأت مواجهة صريحة بين الفكر العربي الاسلامي الأصيل من جانب و الفكر الاستشراقي الدخيل من جانب آخر.

و هكذا تؤكد لنا عوامل التأثير كلها أن المستشرقين لم يقف عند الغرب وحده بل امتد الى الشرق فأخذ عنهم الشرقيون كثيرا من آرائهم و ترجموا بعض كتبهم و بدأوا يتأثرون خطاهم و أسهموا بدورهم في احياء مجدهم .

و قد ظهر لهم في النصف الأول من القرن الأخير أن في مصر أو عواصم الشرق الأخرى دراسات حاكت ما صنع المستشرقون أو أتمت ما بدأوا، أو تداركت مافاتهم و هي على قلتها متنوعة بحيث لاتكاد تمهل بابا من أبواب الثقافة العربية، الاسلامية على أنها على كل حال ليست إلا فاتحة لمجهود ينبغي أن ينمو و يطرد ويبدو على جامعات الشرق الناشئة أنها جادة في أداء هذه الرسالة وهي من ذي الجامعة العربية تحاول أخيرا أن تسلهم فيها بنصيب، وفي دراسات بين الشرق و الغرب. [1]

[1] أحمد سمايلوفيتش:المرجع نفسه.ص547

المبحث الثاني:ميادين تأثيره

لقد تبين لنا من قبل أن الاستشراق عني بكل,ما يتعلق بالشرق عامة,و سعى وراء كل ما يتعلق بالعرب خاصة,و بحث في كل ما يتعلق بالإسلام بوجه أخص,حتى يبدو و كأن نشاطه كله قد انحصر في دراسة حضارتهم و آثارهم,و فلسفتهم و فنونهم و دينهم,و لغتهم و أدبهم على السواء.

و منذ البداية لا بد أن نؤكد أن أثر الاستشراق في الأدب العربي الحديث ينحصر فيما نرى في ثلاثة ميادين رئيسية منها:

1-تحقيق مخطوطاته

2-دراسة أدبه

3-اتجاه نقده

وقد بذل علماؤه في كل الميادين على حدة جهودا جبارة يجب الاعتراف بها والشكر عليها[1]

1-تحقيق مخطوطاته:

لقد اتضحت لنا من قبل معالم عناية الاستشراق بالتراث العربي الاسلامي ومدى أهمية عنايته هذه في نهضة الأدب العربي في العصر الحديث وتأكد لدينا ضخامة علمه وعظمة مجهوده.ولكنه يبدو لنا أنه يجب

[1] أحمد سمايلوفيتش:المرجع السابق.ص 548-549

على مفكري الإسلام أن يأخذوا على عاتقهم مسؤولية المراجعة والمتابعة لكل ما ألف في نطاق الاستشراق وذلك وفق اختصاصاتهم لإظهار الزائف من الصحيح وأبعاد الشوائب عن تراثنا الإسلامي وحسب مفهومنا السابق للتراث يمكننا أن نقول الآن إنّه نوعان: مطبوع ومخطوط أو مكشوف ومطمور أو منشور ومستور.

ومن البديهيات العلمية التي يؤكدها الجميع أنه لا توجد أمّة غير الأمة العربية تملك هذا التراث الضخم مثلما تملكه هي، ومن بين التراث آلاف مؤلفة منه مطبوعة وآلاف مؤلفة منه مخطوطة ومن هنا يأتي التركيز على أن الحضارة العربية الإسلامية بدأت تأخذ مكانها العلمي من جديد منذ بداية القرن العشرين لما بدأت تعلن عن إرثها الثقافي الأصلي المنشور والمستور معا ومما لا شك فيه أن إرثها المكشوف يؤكد إرثها المستور أو العكس لابدّ أن يتأتّى بعد إحياء التراث ونشر المخطوطات إذن فما أمر الاستشراق في ذلك وكيف كان أثره في أدبنا المعاصر بالذات؟

إنّ القيام بهذه المهمّة ليس هيّنا أبدا أو لا يمكن أن يعتمد على المصادفة بل لابد أن يكون مبنيّا على أسس علمية بنّاءة وقواعد ثابتة أيضا فقد لعب الاسترق دورا مؤثرا لا يمكن إغفاله أو إنكاره إذ وضع علماؤه القواعد[1] الأساسية للسير عليها في نشر المخطوطات وتحقيقها معتمدين على المبادئ التي توصل إليها علماء الأدب الكلاسيكية في أواسط القرن التاسع عشر، وقد استخدم المستشرقون هذه المبادئ في إحياء الكتب العربية وإن لم يؤلف فيها تأليفا خاصا، إلى أن جاء المستشرق **'براجستراسير'**، فألف في هذا الفن من خلال محاضراته التي ألقاها بسنين **'محمد مندور'** عن هذا الموضوع فناقش أصوله في التحقيق من خلال نقده لكتاب **"قوانين الدواوين" 'للأسعد بن ماتي'** الوزير الأيوبي المتوفى 606هـ والذي قام بتحقيقه **'غرير سوريال عطية'**، ونشرته الجمعية الزراعية بإشارة **'عمر طوسون'**، حيث در الاتجاه العام لأصول التحقيق باحثا في أثناء ذلك مشكلة المصادر المباشرة، وغير المباشرة، ثم قراءة النص وغيرها من المعضلات العلمية التي تتعلق بهذه الأصول.

[1]- أحمد سمايلوفيتش: المرجع نفسه، ص ص: 548- 550.

ونشر بعده بوقت **'بلاشير' و 'سوفاجيه'** كتابهما بالفرنسية في هذا الموضوع بعنوان "**قواعد نشر النصوص العربية وترجمتها**"، ونشر **'عبد السلام هارون'** مؤلفه في الموضوع نفسه بعنوان "**تحقيق النصوص ونشرها**" الذي قال عنه إنّه أول كتاب عربي في مثل هذا الفن.... وأخيرا جاءت **'عائشة عبد الرحمن'** فأصدرت كتابها "**مقدمة في المنهج**" تناولت فيه بعض قضايا نشر النصوص وتحقيق المخطوطات منبهة إلى فضل علمائنا القدماء في هذا المجال.

وبعد هذه الإشارة إلى بعض الاعتمال السابقة يحسن بنا دراسة اتجاهات **'براجستراسير'** و **'عبد السلام هارون'** و**'صلاح الدين المنجد'** التي ستمكننا من رؤية تأثير الاستشراق في هذا الميدان بالذات.

أمّا **'براجستراسير'** فقد وزع مادة مؤلفه المذكور الذي قام بإعداده **'محمد حمدي البكري'** على ثلاثة موضوعات رئيسية هي: **النسخ والنص والعمل والاصطلاح**.[1]

أما **'عبد السلام هارون'** فقد استطاع أن يؤلف بعد تمرس طويل في عالم المخطوطات وجها متصلا في تحقيق النصوص، وتجارب مضفية في إحياء التراث كتابا يعتز به ويغتبط اغتباطا شديدا، إذ هو أول كتاب عربي يظهر في عالم الطباعة معالجا هذا الفن العزيز: "**فن تحقيق النصوص ونشرها**"[2].

أمّا **'صلاح الدين المنجد'** فقد وضع مؤلفه المذكور بعد تجربة جد غنية في ميدان التحقيق استخلص منها قواعده التي أفاد منها مئات من الطلبة والمشتغلين بالمخطوطات، وجدوا فيها دليلا واضحا سهلا ولا تعقيد فيه، وقدمها إلى مؤتمر المجامع العلمية بدمشق عام 1956م الذي حولها إلى لجنة التراث العربي التي درست هذه القواعد ورأت الموافقة عليها لتكون دليلا للمحققين عندما ينشرون النصوص القديمة[3].

---

[1]- أحمد سمايلوفيتش، المرجع نفسه، ص 551.
[2]- المرجع نفسه، ص 557.
[3]- أحمد سمايلوفيتش، المرجع نفسه، ص 559.

ومن كل ما تقدم تتبين لنا بعض الأمور الهامة للغاية منها:

أولا: إن المستشرق **'برجستراسير'** قد عالج مشكلة تحقيق النصوص ومنهج دراستها وطريقة نشرها بتوسع أكثر من صاحِبَيْه وغيرهما، وأنّه كان أعمق سيرا وأطول باعا منهما.

ثانيـــا: إن المحقق **'عبد السلام هارون'** قد توصل إلى حل معضلة تحقيق النصوص ونشرها على أساس المنهج العربي الأصيل دون الرجوع إلى علماء الاستشراق مما يزيد من فضله وقيمته وقدره.

ثالثـــا: إن الباحث **'صلاح الدين المنجد'** قد وضع قواعد دقيقة للغاية على طريقة حسابية يمكن السير عليها في معالجة تحقيق المخطوطات ونشرها معتمدا على عوامل عديدة وأهمها تأثيره بالاستشراق.

رابعـــا: إنهم جميعا قد أقروا بما كان لإحياء التراث من أثر عظيم في الأدب العربي الحديث.

خامســـا: إنّ هذا التأثير قد جاء عن طريق تحقيق المخطوطات ونشرها حيث لعب الاستشراق دورا رئيسيا في العصر الحديث، لابد من الاعتراف بفضله وأثره.

سادســـا: إن علماؤه قد قاموا بإحياء آلاف من أمهات الكتب العربية الثمينة.

سابعـــا: عاد هذا الفن البالغ الأهمية إلى أصحابه العرب عن طريق المستشرقين، وعن طريق إسهامهم في الأدب العربي الحديث.

ثامنـــا: لقد تأثر العرب المحدثون بمنهج المستشرقين في تحقيق المخطوطات ولعب بعضهم مثل **'أحمد زكي باشا'** دور الوسيط في اخذ هذا الفن عنهم ونقله إلى العرب[1].

وهكذا يجب أن نقرر أثر الاستشراق في هذا الميدان في الأدب العربي الحديث، إذ كان المستشرقون أول من انتبه إلى أهمية المخطوطات التي تضم التراث الفكري للعرب القدامى فأخذوا يقتنون نوادرها ويعملون على تحقيقها ونشرها وفق الأصول العلمية الصحيحة وبشكل يسهل

[1]- احمد سميلوفيتش: المرجع نفسه، ص 560-561.

الاستفادة منها، كما اهتموا بتنظيم الفهارس الوافية للتعريف بهذه المخطوطات التي تضمها خزائن كتبهم....

وفي بداية عصر النهضة الحديثة انتبه رجال الفكر في البلاد العربية إلى ضرورة إحياء التراث القديم الذي خلفه الأوائل وبدئوا بتعقب المخطوطات وتجميعها والمحافظة عليها وأسهموا في تحقيقها ونشرها[1].

ب) دراسة الأدب العربي:

لقد بتيّن لنا مما تقدم مدى اثر الاستشراق في أدبنا الحديث، والمنهج العلمي السليم يتطلب منّا الآن أن نكشف مزيدا من هذا التأثير.

ومما لاشك فيه أن المسائل التي تعرضنا لها سابقا تؤكد ذلك. وهكذا نستطيع أن نفهم الأمر الذي جعل 'طه حسين' يسأل منذ نصف قرن: "كيف تتصور أستاذا للأدب العربي لا يُلم ولا ينتظر أن يلم بما انتهى إليه المرجع من النتائج العلمية المختلفة حين درسوا تاريخ الشرق وآدابه ولغاته المختلفة؟"[2]

و لم يقف عميد الأدب عند هذا الحد بل قال: "إنّما يلتمس العلم الآن عند هؤلاء الناس، ولابد من إلتماسه عندهم، حتى تباح لنا أن نطير بأجنحتنا ونسترد ما غلبنا عليه هؤلاء الناس من علومنا وآدابنا وتاريخنا." وقد حدث هذا حقا منذ قرابة ربع قرن من الزمن[3].

ومن هنا يبدو هذا التأثير جليا وعظيما في الوقت نفسه، وقد يحكى ذلك في كل ما يتصل بالأدب العربي وتاريخه، جمعه وتنظيمه، تأثره وتأثيره. وهكذا يتضح لنا جليا أيضا أنّ أبرز النواحي لأثر الاستشراق في الأدب العربي المعاصر تتجلى في:

- التأريخ للعصور الأدبية.

[1]- أحمد سمايلوفيتش، المرجع نفسه، ص ص 560- 561.
[2]- أحمد سمايلوفيتش، المرجع السابق، ص 562.
[3]- أنور الجندي: خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، ص 234.

- تأليف دائرة المعارف الإسلامية.
- الفهرسة للمعاجم العربية.
- البحث في تأثير الأدب العربي.

وإذا كان الأمر كذلك فلنبحث إذن أثر الاستشراق في الدوائر المذكورة على قدر الإمكان والإيجاز.

- **التأريخ للعصور الأدبية:**

لقد حاول علماء الاستشراق أن يحيطوا بالأدب العربي إحاطة كاملة، فبحثوا في كل ما يتعلق به، معتبرين تاريخه أساسا لذلك، ومن هنا واجهوا معضلة تأريخه ونشأته وتكوينه ومنزلته وتطوره، وأرادوا أن يحلوها ولكي يقوموا بذلك كان عليهم أن يبدؤوا دراستهم للأدب العربي على أساس جديد، وهكذا ذهبوا فقسموا هذا الأدب إلى عصور، وكأن هذا أمر جديد فيه بوجه عام، إذ لم يقم مؤرخوه القدامى بتقسيمه على هذا الأساس، بل كانوا يركزون جهودهم على وضع الأدباء في إطار تاريخي حسب مواليدهم حينا، أو وفاتهم أحيانا، أو مواضيع أدبهم في أحايين. ولذلك كله كانت محاولة الاستشراق لدراسة الأدب العربي عن طريق تأريخه وتقسيمه إلى عصور مختلفة صدى جديدا فرضه عليه تطور الدراسات الأدبية في العالم حتى سلك المستشرقون مسلك مؤرخيهم الغربيين في دراسة آدابهم المختلفة، وهكذا أخذوا اتجاها جديدا في الأدب العربي أيضا[1].

ويكاد **'جب'** يجمع في كتابه "**عن الأدب العربي**" كل منطلقات الاستشراق التي عني بها **'طه حسين'** وزملاؤه في كلية الأدب التي أنشئت عام 1926م[2].

إذن فالمستشرقون هم الذين حلّوا مشكلة التحقيق في الأدب العبي الحديث، وتأثر بهم علماء العرب المحدثون كل التأثر.

ومن هنا نرى **'بروكلمان'** يقسم تاريخ الأدب العربي إلى خمسة عصور رئيسية هي:

[1]- أحمد سمايلوفيتش، المرجع السابق، ص 562.
[2]- أنور الجندي: المرجع السابق، ص 241.

1. عصر ما قبل الإسلام، ويبدأ من نقطة لا يمكن تحديدها الآن حتى ظهور الإسلام.
2. عصر ظهور الإسلام حتى نهاية الأمويين عام 750م.
3. عصر الدولة العباسية حتى نهايتها على أيدي المغول عام 1258م.
4. عصر ما بعد سقوط بغداد حتى مجيء بونابرت إلى مصر عام 1798م.
5. عصر البعث الجديد في القرن الماضي حتى الحاضر[1].

ويختلف **'نيكلسون'** عنه فيقسم تاريخ الأدب العربي إلى ستة عصور رئيسية هي:

1. عصر ما قبل ويبدأ من نقطة زمنية يصعب تحديدها حتى ظهور الإسلام.
2. عصر محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم.
3. عصر الخلفاء الراشدين والدولة الأموية.
4. عصر الدولة العباسية وخلفائها.
5. عصر العرب في أوروبا ودورهم فيها.
6. عصر ما بعد الفتح المغولي حتى عصرنا الحاضر[2].

ويذهب 'نالينو' فيقسم تاريخ الأدب العربي إلى ستة عصور أيضا وهي:

1. العصر الجاهلي مبتدئا بزمن يستحيل تحديده حتى ظهور الإسلام.
2. العصر الإسلامي مبتدئا بظهور الإسلام ومنتهيا بسقوط الدولة الأموية عام 750م.
3. العصر العباسي الأول يستمر من سقوط الأمويين حتى عام 1058م.
4. العصر العباسي الثاني ويبدأ من عام 1058م ومستمر حتى سقوط بغداد في أيدي المغول عام 1258م.
5. عصر الانحطاط ويبدأ من عام 1258م حتى عام 1805م.

[1]- أحمد سمايلوفيتش، المرجع السابق، ص 564.
[2]- أحمد سمايلوفيتش، المرجع نفسه، ص ص 264-265.

6. عصر البعد الجديد ويبدأ من جلوس **'محمد علي بك'** على عرش مصر عام 1805م ويستمر حتى الآن.

وقد تبين لنا مما تقدم أن هناك اختلاف بين هؤلاء كما هو الحل نفسه بين غيرهم فيما يتعلق بتحقيب الأدب العربي بسيط للغاية وأنهم وسواهم من زملائهم يأخذون عنصر التحولات السياسية أساسا للقيام بتقسيم تاريخ الأدب العربي نفسه إلى تلك العصور التي تبناها علماؤنا المحدثون وافردوا مؤلفاتهم الخاصة بكل عصر من عصور[1].

- **تأليف دائرة المعارف الإسلامية:**

1- ظهورها وموضوعاتها:

أما ظهورها فقد كان بفضل جهد بذله علماء الاستشراق في العالم بأسره، ولابد أن نعتبرها أكبر عمل قاموا به على الإطلاق، وقد استهدفوا بإخراجها أن يجمعوا معلوماتهم وأبحاثهم وأفكارهم في مؤلف واحد شامل يحيط بكل ما يتعلق بالإسلام والعرب والقرآن، ولم يأت مؤلفاتهم هذا اعتباطا، وإنّما أعدّوا له قرابة عشرين سنة أو يزيد. إذ بدأت فكرته تراودهم منذ نهاية القرن التاسع عشر، حيث اخذوا يجمعون المواد ويوزعون جمعها على العلماء ويرتبونها حسب الهجاء.

وإما موضوعها فنستطيع أن نلاحظ أنها تعالج جميع الموضوعات التي تتعلق بالإسلام والعرب[2]. فقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية عن مادة الحديث القول بأنّه: " لا يمكن أن نعد الكثرة الغالبة من الأحاديث وصفا تاريخيا صحيحا لسنة النبي بل هي على عكس ذلك تمثل آراء اعتنقها أصحاب النفوذ في القرون الأولى بعد وفاة (محمد ونُسبت إليه عند ذلك فقط"[3]

[1]- أحمد سمايلوفيتش، المرجع نفسه، ص 565.
[2]- أحمد سمايلوفيتش، المرجع نفسه، ص ص 567- 568
[3]- أ.د سعدون محمود الساموك: الوجيز في علم الاستشراق، ص 81.

فهي تحتوي على كل ما يحتاج الباحث، إذ تعتبر خزانة عربية الإسلامية شامة تشهد لأصحابها بالاطلاع الواسع على كل ما يتعلق بالعرب والمسلمين، وتدل على براءهم في الجمع، ومنهجهم في تأليف، ودقتهم في تبويب، ونظامهم في التصنيف وما إلى ذلك.

2-منهجها وقيمتها:

أما منهجها فيعتبر مثالا يحتذى به، إذ عنى أصحابها بتوزيع كتابة مادتها على المتخصصين فيها الذين لهم خبرة طويلة في بحثها، وسير أغوارها والنظر إليها، وقد اتبع منهجا أبجديا في إخراجها مما يسهل أمر البحث فيها والرجوع إليها والاستفادة منها.

أما قيمتها فترجع إلى شموليتها أكثر منها إلى موضوعاتها، إذ جمع أصحابها أغزر مادة كان يمكن حينئذ جمعها حول موضوع واحد في مكان واحد. وأحالوا الباحث فيها إلى أكبر قدر ممكن من أهم المراجع ويقلل قدر موضوعيتها العلمية في نظر مؤلفيها في أحايين كثيرة نظرة غير موضوعية وغير النظرة الإسلامية، إذ شابوا مسائل عديدة بالتعصب، كما فعل الأب **'لامنس'** وأمثاله مما يوجب أن يكتب الموضوع من جديد ومن غير تحيُّز[1].

3-ترجمتها وتأثيرها:

أقبل العرب على ترجمتها بشغف قبل انتهاء أصحابها من إخراجها، إذ بدئوا ينقلوها إلى لغتهم قبل إصدارها كاملة بلغاتها الأصيلة الثلاث الانجليزية، والألمانية، والفرنسية، ولو حاولنا أن نستعرض أهم المؤلفات التي نقلت إلى العربية في عصرنا الحالي، وإحصاء أنفس ما طبع منها لوجدنا في صدارتها **دائرة المعارف الإسلامية**" التي قام بإعداد ترجمتها **'إبراهيم زكي خورشيد'** و**'أحمد الشناوي'** و**'عبد الحميد يونس'**. وغن دل هذا العمل الجبّار على شيء فإنّه يدل قبل كل شيء على استعداده للتحدي والجهد والتضحية في سبيل إيمانهم و أدبهم، ولغتهم على سواء، وكل

[1]- أحمد سمايلوفيتش، المرجع السابق، ص 568.

من عانى مشقة الترجمة من لغة إلى أخرى لابد أن يقف أمام هؤلاء الثلاثة بالإجلال.... وكل هذا وذلك يدل على مشقة عمل المترجمين الذين قدّموا إلى أمّتهم وفضلهم الذي أسدوه إلى أدبهم.

وعلى أي حال يكفينا دليلا على أثرها في الأدب العربي المعاصر تلك البحوث الشهيرة التي قام بها **'أحمد أمين' و'إسماعيل مظهر' و' عبد الوهاب عزام' و'كوركيس عواد'** وغيرهم الذين أشادوا بأهميتها واعترفوا بأثرها ورحبوا بترجمتها وأسهموا بإضافتها على التراث العربي الإسلامي الخالد.

ويكفينا أيضا أن نستدل على أثرها في الأدب العربي الحديث برأي **'محمد كرد علي'** الذي تناولها بشيء من الإسهاب والإنصاف معا[1] منذ قرابة نصف قرن من الزمان في مقالة الشق بعنوان "**المعلمة الإسلامية**" حيث أشاد بما قدمه العرب في هذا الميدان إلى الإنسانية بأسرها إذ كم من معلمة أو موسوعات أو دائرة معارف لهم في الحديث والسير واللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا، وغيرها من العلوم التي خاضوا عبابها ودونوها وجودوا في نسقها حتى لا تزال على اليوم يستفاد منها ويدهش المنصفون من وضعها وينسج الغربيون أصحاب المدنيات الحديثة على منوال علماء العرب في وضع المعاجم والمعلمات تسهيلا على في الناس التعليم[2].

الفهرسة للمعاجم العربية:

لابد أن نضيف إلى كل ما تقدم من أثر الاستشراق في الأدب العربي المعاصر تنظيمه المعجم العربي، وإسهام علمائه في تبويبه وترتيبه على السواء، وعلى الرغم من ذلك فإن واجب العلم يقتضي أن تؤكد ما قاله "هيفود" الذي بحث في المعجم العربي: "الحقيقة أن العرب في مجال المعاجم يحتلون مكان المركز سواء في الزمان أو المكان بالنسبة للعالم القديم والحديث وبالنسبة للشرق والغرب سواء بسواء."

[1]- أحمد سمايلوفيتش، المرجع السابق، ص 569- 570
[2]- أحمد سمايلوفيتش، المرجع نفسه، ص 570.

وليست هذه الحقيقة من نسج خيال "هيفود" وإنما هي تعبر عن الواقع حقا، لأننا إذا استثنينا الصين لا نجد شعبا آخر يحق له الفخار بوفرة كتب علوم لغته وبشعوره المبكر بحاجته إلى تنسيق مفرداتها بحسب أصول وقواعد غير العرب، وقد يرجع النصوص بالدراسات اللغوية عند العرب نهوضا مبكرا ملؤه النشاط إلى الحاجة إلى التفرقة بين الفصيح ومختلف اللهجات وبينه وبين اللغة الفارسية. ذلك فضلا عما للعرب من نزعة إلى التفقه في اللغة تلك النزعة التي تجلت مبكرة في تفسير القرآن في دراسته دراسة لغوية.[1]

البحث في تأثر وتأثير الأدب العربي:

لقد فرق الفتح العربي للبلاد التي يتكلم أهلها اللغات المختلفة وما تبع ذلك من سيطرة اللغة العربية عليها جميعا بين العهدين في تاريخ آداب هذه اللغات وتاريخ آداب اللغة العربية أيضا، التي اضطرت بعد انطلاق أصحابها خارج حدودها الأولية أن تسعى وراء كل ما هو مفيد وجديد بالنسبة لها استجابة لحاجتها الفكرية والعلمية والفنية الجديدة التي طرأت عليها وهكذا أطل الأدب العربي على منافذ الثقافات العالمية وأشرف على منابعها يستلهمها ويلهمها، أجل الآيات والروائع يؤثر فيها في القديم والحديث ويتأثر بها، وذلك في عصور نهضته وازدهاره.

والذي يهمنا هو أمر تأثر هذا الأدب بآداب البلاد المفتوحة وعلومها، ونظر بعض المستشرقين إلى هذا التأثر وما يستخرجون منه في أثناء كشفهم إياها ودراستهم له.

ومن الجلي أن التأثر بين أدب وآخر قد يكون من الجنس الأدبي أو في المواقف الأدبية، أو في الأفكار والموضوعات والإحساسين. وقد يظهر في النواحي الفنية التي تتجلى في الاتجاه والصياغة والأساليب، وما من شك مطلقا في أن هذا التأثر قد ازداد بولع المسلمين بالعلوم والآداب والفنون

[1] أحمد سمايلوفيتش، المرجع نفسه، ص572.

وشغفهم بها، حتى كان من جملة أفضال تميزهم عليها جميعا أنهم أثمن ما فيها من لغات الشعوب التي دانت لهم، وأضافوا إليها وتقدموا بها إلى الأمام.[1]

وننتقل إلى أهمية كشف الاستشراق عن تأثير الأدب العربي في الآداب الأخرى حيث سيتجلى لنا الأمر على عكس ما ذهب إليه "كارل بكر" وأمثاله هنا الآن تأثير المسلمين أو الناطقين بالعربية على أوربا كان بالغا، ولعبت إسبانيا وصقلية وإقليم سوريا إلى حد ما دورا كبيرا في تقديم ما نقله العرب عن اليونان والرومان إلى أوربا العصور الوسطى وأوربا عصر النهضة على حد سواء.

لقد تبين لنا أن الفتح العربي تم بطريقة معجزة واستوعب العرب كل ما صادفوه من المعارف بسرعة مذهلة، فأصبحوا بحق أساتذة العالم لمدة تناهز ألف سنة كاملة. وخلالها عايشوا العلوم وباشروا الآداب ومارسوا الفنون، ففتحوا أبواب الازدهار على مصاريعها في كل اتجاه حتى يعد تأثيرهم في تلك الميادين ميلا جديدا بالنسبة للإنسانية جمعاء.[2]

[1] المرجع السابق، ص 575- 576.
[2] أحمد سمايلوفيتش، المرجع نفسه، ص 581-582.

في اتجاه النقد العربي:

لقد بينا من قبل أن ما أحدثه العرب في العصر الحديث يعد بحق بعثا جديدا في حياتهم كما بينا الأسباب التي أسفرت عن هذا الانطلاق، وأثبتنا العوامل التي أدت إلى أن اهتم علماءهم بالأدب واللغة والنقد على السواء، مثلما فعله "حسين المرصفي" و "حمزة فتح الله" و"سيد المرصفي" و"محمد عبده" و"قسطاني حمص".

وغيرهم ممن قاموا بإحياء النقد العربي، ففتحوا أمامه آفاقا رحيبة، قبل مجيء المستشرقين أمثال "جويدي" و"فييت" و"نالينو" وغيرهم للتدريس بالجامعة المصرية التي استدعتهم لتدريس اللغة العربية وآدابها فوجدوا أمامهم أرضا خصبة يستطيعون الزرع فيها دون أن يصرفوا وقتهم قبل ذلك للقيام بإصلاحها.

وهكذا سهل الأمر لتأثير الاستشراق في النقد العربي الحديث واتجاهه، وهل لنا أن نذهب إلى أبعد من اعتراف "طه حسين" بأثر الاستشراق النقدي واتجاه غيره أيضا، عندما أنشأ قسم الآداب في الجامعة، ودعا إليها جل الأساتذة من المستشرقين في إيطاليا وفرنسا وألمانيا، وانتسب هو لهذا القسم، وأخذ يسمع الدروس فيه، ويقول في ذلك: "إن ألوانا من الدروس لم أعرفها من قبل، وإذا فنون من النقد لم يكن لي بها عهد، وإذا دارس الأدب لنفسه يجب أن يدرس جيده ورديئه، وأن يتقن علوم اللغة وآدابها فحسب بل لابد له أن يلم إلماما بعلوم الفلسفة والدين، ولابد له أن يدرس التاريخ وتقويم البلدان درسا مفصلا.."[1]

نستطيع بعد إمعان النظر في هذا الاعتراف الصريح أن يستخلص منه بعض النتائج التي يمكن أن تعطينا صورة عما أحدثه الاستشراق حينئذ في ميدان دراسة الأدب عامة والنقد خاصة ومنها:

[1] أحمد سمايلوفيتش، المرجع نفسه، ص 598-600.

أولا: إنه اعتمد على المنهج كما اعتمد على الذوق في دراسة تاريخ الأدب العربي ونقده كذلك.

ثانيا: إنه أحدث انقلابا شاملا في دراسة الأدب العربي ونقده حينذاك.

ثالثا: إنه وجه باحثي الأدب العربي إلى نظرة شمولية لهذا الأدب ونقده.

رابعا: إنه أكد أن باحث الأدب العربي يمكنه أن يستنبط صورة دقيقة عن المجتمع العربي الإسلامي من الأدب الذي يدرسه وينتقده.

خامسا: إنه أثبت أن دارس الأدب العربي لابد أن يكون ملما بعلوم أخرى قبل أن يشرع في دراسة هذا الأدب ونقده.

ولكن لو وقفنا بأثر الاستشراق في النقد العربي الحديث عند هذا الحد لما أنصفناه مطلقا، بل علينا أن نتقدم ببعض الخطوات لنرى نوعا آخر من أثره في اتجاه النقد العربي المعاصر، وها نحن أولاء نلتقي بـــ"مرجوليوث" الذي كان أول من رأى أن كل شعر جاهلي مصنوع.[1]

وما من شك في أن الناظر لما قاله جوليوث يجد عجبا، فهو مستشرق في غاية التعصب بل وصل به التعصب إلى أقصاه، ويتجلى هذا في مقاله الشهير "أصول الشعر العربي" حيث يظهر تعصبه بجلاء فهو يؤكد كلامه أو يرسي بناءه على أمرين:

الأول: الشك في الشعر الجاهلي كله، فهو منحول مؤلف بعد الإسلام.

الثاني: الطعن في الإسلام وعقائده والرسول عليه الصلاة والسلام ووحيه.[2] ويزعم المستشرق المجري جولد زهيمر أن الإسلام دين تطور على يد المسلمين وذلك بكثرة الإضافات التي جعلت كيان هذا الدين يصل إلى حد لم يعرفه محمد صلى الله عليه وسلم، وأول هذه الإضافات السنة،

[1] نفس المرجع نفسه، ص601.
[2] أنور الجندي، المرجع السابق، ص239.

فإن ألوف الأحاديث التي ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم نطق بها، هي من صنف العلماء الذين أرادوا أن يجعلوا من الإسلام دينا كبيرا شاملا.[1]

ويقول جوليان في كتابه "تاريخ فرنسا": "إن محمد مؤسس دين المسلمين قد أمر أتباعه أن يخضعوا العالم، وأن يبدلوا جميع الأديان بدينه هو، ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين والنصارى، إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة وقالوا للناس أسلموا أو موتوا بينما أتباع المسيح أراحوا النفوس ببرهم وإحسانهم، وماذا كان حال العالم لو أن العرب انتصروا علينا."[2]

وما تزال طلائع الاستشراق تحاول أن تحفر في الأدب العربي مجرى زائفا تعلي بعض التابعين من أدباء الرفض والحاقدين على العرب والإسلام وقد جمعهم "جاك بيرك" في كتابه "مختارات من الأدب العربي" الذي أصدره عام 1964م، حين تجاهل عمدا كل أصحاب الأصالة والنتاج المتحرر من شبهات التغريب وتبعية الانحراف نحو مناهج الاستشراق والتغريب.[3]

ومن الحق أن نقول أن رؤيا "جاك بيرك" لم تكن صادقة وأن الأيام القليلة التي أعقبت كتابه ورؤياه كشفت عن زيف ما ذهب إليه، وأنها كانت مضللة لم تصل إلى الأبعاد الحقيقية، أو أنها كانت مغرضة متعصبة تقصد إلى ما تريد من تزييف الواقع، وتفرض على الأدب مجموعة من الشعوبيين الذين ليسوا أهلا لتلك المكانة التي حاول أن يضيفها.

لقد كان متأثرا بآداب زائفة لم تكن نابعة من البيئة ولكنها كانت مفروضة عليها، ولم يكن صادقا في تقديره لتطور الأدب العربي الحديث حيث اهتم بالشعر الحر وبكتابات مجلة شعر ومجلة حوار وبالواغلين في الشعوبية والانحلال ممن لا يمثلون عصرهم ولا أمتهم، وكذلك حين أغضى عن صفحة ناصحة من الأعمال الأصيلة للكتاب الممتازين، وتجاوزها عمدا.

---

[1] عفاف سيد صبرة: المستشرقون ومشكلات الحضارة، ص73.
[2] يحيى مراد: افتراءات المستشرقين على الإسلام والرد عليها، ص280.
[3] أنور الجندي، المرجع السابق، ص244.

لقد كشف جاك بيرك عن الهوى وضيق النظرة حيث ترك مجرى النهر وذهب مع الروافد التي ماتت.

وهكذا نرى أن الاستشراق عاجز عن استيعاب روح الأدب العربي وبيان الفصحى، وأنه يخضع للغرض والهوى والهدف المسبق.[1]

المبحث الثالث: طبيعة تأثير الاستشراق في الأدب العربي الحديث

بعد أن برز أمامنا أثر الاستشراق في الأدب العربي الحديث يجدر بنا أن نتساءل عما هي طبيعة أثره فيه؟ وردا على ذلك نرى أنه يجب علينا أن نرجع أثره إلى جانبين هامين: أحدهما جانب منهجي والآخر جانب موضوعي.[2]

أما أثره من الناحية المنهجية فقد استطاع الاستشراق أن يوجه علماء العرب المحدثين إلى تحقيق مخطوطاتهم وإحياء تراثهم وتأريخ آدابهم ويحملهم على الاهتمام بمعاجمهم وتنظيم مباحثهم والإحاطة بأعلامهم والبحث في علومهم والـــنفاذ إلى تأثرهم وتأثيرهم وتفهم مكانتهم في الفكر العالمي.

وهكذا درس العرب المحدثون أدبهم على نهج بروكلمان ونالليو ونيكولسن، وبلاشير وجيب وكراتشكوفسكي، وغروبناوم، باليثيا، وآدمز،مرجوليوث،وريبيرا، بلاثيوس وجولدزيهمر وآربرى وغيرهم حتى لا تكاد تخلو جامعة عربية بل جامعة إسلامية ولا باحث عربي في الفكر العربي وثقافيته، بل باحث مسلم في الفكر الإسلامي وحضارته من أثر هؤلاء وطريقتهم ومنهجهم.[3]

---

[1] المرجع نفسه، ص245.
[2] أحمد سمايلوفيتش، المرجع نفسه، ص 606-607.
[3] المرجع السابق، ص607.

وهذا ما ظهرت نتائجه بوضوح مما قام بتطبيقه "أحمد حنيف" و "طه حسين" ممن درسوا في فرنسا أو عبد الرحمن شكري ممن درسوا في إنجلترا أو ما أخذه من اتصل بالمستشرقين المعاهد كأمين خولي أو من نقلوا هذه المذاهب من غيرهم كالمازني والعقاد.[1]

أما أثره من الناحية الموضوعية فقد أثار المستشرقون في العالم العري مسائل كثيرة أثارت اهتمام عدد من علماء العرب المحدثين فكان موضوع مؤلفاتهم وبحوثهم ودراستهم ولن تذهب أبعد من القرن التاسع عشر، حيث "كان لقاء الطهطاوي مع المدرسة الاستشراقية الفرنسية واتصاله الدائم بعميد المستشرقين الأوربيين "البارون سلفستر دي ساسي" (1758-1838م) وتلاميذه أمثال كوسين دي برسوال (1795-1871) وجوزيف رينو (1795-1767) أو لقاء للعقل العربي مع دراسات المستشرقين الفرنسيين ولقد أثار الجانب الديني والعلمي عند هؤلاء المستشرقين اهتمام الطهطاوي.

وكل من يقرأ كتابه "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" يلاحظ هذا كله بوضوح، إذ عدد الطهطاوي فيه بعض الكتب العربية مثل "تقويم البلدان" لأبي الفداء و"نزهة المشتاق" للإدريسي، و"خريدة العجائب وفريدة الغرائب" للوردي، و"نشق الأزهار في عجائب الأقطار" لابن إياس وغيرها التي طبعت في أوربا قبل ذهابه إليها أو خلال وجوده فيها وهكذا يتضح أن الطهطاوي عرف كثيرا من الكتب العربية أثناء إقامته في باريس، وهي الكتب التي اهتم بها المستشرقون الأوربيون فنشروا جزءا منها أو نشروها كاملة أو ترجموها وبحثوا مضمونها وبهذا عادت رحلة الطهطاوي في باريس بعدة ثمار علمية منها معرفة بجهود المستشرقين في نشر التراث العربي إلى جانب هذا عف الطهطاوي دراسات المستشرقين في اللغة العربية وآدابها وخصص عددا صفحات من كتابه لجهود "دي ساسي" في التراث العربي.[2]

[1] أنور الجندي، المرجع السابق، ص235.
[2] أحمد سمايلوفيتش، المرجع نفسه، ص607.

إن الدراسات الأدبية وتاريخ الأدب العربي بصورته التي نعرفها اليوم هي أثر من أثار المستشرقين و حسنة من حسناتهم ولا تعجب فالكتب العربية مند "طبقات الشعراء "لابن سلام الجمحى" و ما أتى بعده من كتب التراجم كمعجم"الأدباء""لياقوت"،و "وفيات الأعيان" "لابن خلكان" لم تبحث في الأسباب و العلل و النتائج و البيئة و الظواهر السياسية و الاجتماعية و تفاعل الأدب و عصره كما نراه اليوم في الدراسات الأدبية و إنما كان الأديب وحدة منفصلة لا تربطه بغيره روابطه ويمكننا أن نستدل على دلك كله بعدد من الكتب العربية التي ظهرت في هدا المجال لنرى مبلغ تأثر أصحابنا بالاستشراق في جلاء تام [1].ومع دلك فإننا نؤثر هنا أن نأخذ على سبيل المثال لا الحصر الكتابي "جورجي زيدان"(تاريخ آداب اللغة العربية وتاريخ التمدن الإسلامي).كما بينا دلك فيما مضى،حيث لتضح جليا أن لا سبيل للشك مطلقا فيما يتعلق بتأثر "جورجي زيدان" بالاستشراق و بما أصدره علماؤه من البحوث و الآراء و إن كان من الصعوبة بما كان أن نقرر الآن إلى أي من الكتابين كان العرب عند ادن أحوج إليه من الآخر.لقد كان لكليهما أهمية خاصة للنهضة الأدبية الحديثة حيث نلاحظ في ميدانهما معا تحولا عظيما بعد ظهورها حتى أخذت الدراسات العربية التي كانت في مهدها أنداك تسير في طريقها إلى الأمام و كان من يكتبون في تاريخ الإسلام يجرون على منهج رواة المسلمين القدامى مع شيء من التحسين القليل،كما ترى في " محاضرات التاريخ الإسلامي" للشيخ المحمود الخضري"،و لم يكن لهم بعالم الاستشراق أو البحوث الجديدة صلة أما "جورجي زيدان"بمعرفته للغات و اطلاعه على المناهج الحديثة فكان أشبه شيء بهمزة وصل بين الحركة العلمية العربية الناهضة و حركة الاشتشراق

[1] أحمد سمايلوفيتش:المرجع السابق.ص 608 -609

المتدفقة النشاط في أوروبا و أمريكا.واتصلت العلاقات بينه وبين أعلام المستشرقين مثل "ثيودور نولد كله"و"يوليوس فلهاوزن"و"مارجوليوث"و"اجناس جولدز يهر"و"أمدروز"و"ادوارد سخاو"و"وليام رايت".وكان معظم هؤلاء يفودون على القاهرة للدراسة أو البحث عن المخطوطات أو لنشر بعض ما أعدوه من مخطوطات عربية،فاتصلوا "بجورجي زيدان" و أخذوا عنه و أخد عنهم،و وجدوه يبحث عن أسلوبهم مع تفوقه عليهم في العلم بالعربية فعظمت قيمته في أعينهم و أقبلوا يقرؤون ما يكتبه في الهلال وما ينشر من كتب و تصدي نفر منهم لترجمة بعض روايات تاريخ الإسلام فكانت هده الروايات من أول ما ترجم إلى اللغة العربية من عيون الأدب العربي الحديث [1]

فادا تجاوزنا أثر الاستشراق في دراسات "جورجي زيدان" مثلا فسنقابل على الفور أثره في اتجاهات "طه حسين" سواء أخدنا دراسته"ذكرى أبي العلاء" التي تعد أول بحث علمي منظم عن دلك الشاعر أو نظرنا إلى رسالته "فلسفة ابن خلدون الاجتماعية" التي تعتبر بحث علمي منظم كتب عن دلك الفيلسوف و تناول شرح نظريات في التاريخ و الاجتماع،أو اتجهنا إلى كتابه في الأدب الجاهلي الذي كان فاتحة عهد جديد في النقد الأدبي فمند ظهوره شرع الكتاب و الباحثون يعالجون هدا الموضوع في شتى نواحيه أو التفتنا والى بحثه "مستقبل الثقافة في مصر"حيث يقرر أن في الأرض نوعين من الثقافة يختلفان أشد الاختلاف،و يتصل بينهما صراع بغيض ولا يلقى كل منهما إلا محاربا أو متهيأ للحرب أحد هدين النوعين هدا الذي نجده في أوروبا مند العصور القديمة،والأخر هدا الذي نجده في الشرق مند العصور القديمة أيضا .[2]

[1] أحمد سمايلوفيتش:المرجع نفسه،ص 610
[2] المرجع نفسه:ص.611 -612

لا يسعنا هنا إلا نتتبع أثر الاستشراق في كل ما كتبه سقراط العرب بل لا يسعنا أن نتتبع أثره في أبحاثه المذكورة إلا بإشارات مقتضبة للغاية وإذا أكدنا تأثره بالاستشراق في "ذكرى أبي العلاء من قبل"فلم نكرر القول و إنما نواصل السير لنرى تأثره في أماكن أخرى فنأخذ مثلا بحثه التالي هو"فلسفة ابن خلدون الاجتماعية الذي ألفه كما يتراءى لنا لأربعة أسبا ب رئيسية:

1 أنه لاحظ أن هناك اهتماما متزايدا من الاستشراق بهذا الفيلسوف أبا علم الاجتماع فتاقت نفسه إلى دراسته

2 أنه أراد أن ينافس الاستشراق و يؤكد له أنه أولى من أصحابه للنفاد إلى أسرار مؤلفه الفد (المقدمة)

3 أنه اعتقد أن واجبنا قد ألقى عليه لتصحيح بعض أخطاء وقعت في ترجمات الاستشراق لمؤلف ابن خلدون العظيم

4 أنه أحب أن يوجه الاستشراق إلى ما في "مقدمة" ابن خلدون من فلسفة اجتماعية أصيلة.[1]

وهدا ما يؤكده"طه حسين" نفسه في مقدمته لسفره النفيس عن فلسفة "ابن خلدون" و إذا تقدمنا خطوة إلى الأمام فسنراه في كتابه"في الأدب الجاهلي"متأثرا بالاستشراق كل التأثر حتى ليمكن القول أن أثر الاستشراق في هدا الكتاب قد وصل إلى ذروته إذ أجمعت لجنة من "الغمراري" و"العوامري"و"مجد عبد المطلب" بأن الكتاب قد مس مشاعر العرب و المسلمين في :

1 الوحدة القومية و العاطفة الدينية.

2 الإيمان بتواتر القران و قراءاته و أنه وحي من عند الله.

[1] أحمد سمايلوفيتش:المرجع السابق.ص 612

3 كرامة السلف من أئمة الدين و اللغة.

4 كرامة الثقة بسيرة النبي في كل ماكتبه.

5 محاولة التشكيك في صدق القران ونهيه عن الكذب.

6 محاولة إضاعه الوحدة الإسلامية.

7 حرمة الصحابة و التابعين.

8 تنزيه القران عن التهكم و الازدراء.

9 تنزيه النبي و أسرته عن مواطن التهكم و الاستخفاف.

10 براءة القران مما رماه به المستشرقين من أعدائه.

11 إساءة الأدب العام عم الله و رسوله.ادن فمن الجلي أنه لا سبيل لأحد إلى إنكار أثر الاستشراق في اتجاهات "طه حسين" على الإطلاق.[1]

و الدكتور طه حسين لا يتوقف لحظة و لا يستحي مرة من أن يعلن تبعيته الواضحة لآراء المستشرقين و خضوعه لمناهجهم في البحث،وهو لا يخضع لمنهج واحد،و إنما تتشكل كتبه بالخضوع للمذاهب المختلفة،فهو خاضع تارة للمذهب الاجتماعي خضوعا كاملا للبيئة و العصر وهده تبدو واضحة في دراسته عن أبي العلاء في القاهرة قبل أن يسافر إلى باريس. وهناك خضوعه الواضح ل"بلاشير" في دراسته "للمتنبي" وخضوعه ل "دوركايم" في دراسته عن "ابن خلدون" [2]

[1] أحمد سميلوفيتش:المرجع نفسه.ص 612 -613
[2] أنور الجندي:المرجع السابق.ص 236 .

و يؤكد على تأثر "طه حسين" بالمستشرقين فيقول:"و الواقع أن الدكتور "طه حسين" دخل ميدان الشعر العربي كباحث و في أدنيه ما اعتاد أن يقول كل من "نول دكه و مرجليوث" و هو أن يضاف للعرب قبل الإسلام ليس له[1]

و يمكننا أن نخطو خطوة أخرى للاستدلال على أثر الاستشراق في هدا المجال بعدد من الدراسات التي ظهرت في الأدب العربي الحديث لنرى حقيقة تأثر أصحابها بالاستشراق و لنأخذ على سبيل المثال لا الحصر "محمد حسين هيكل" و خاصة مؤلفه "حياة محمد" الذي يعد بلا شك عمدة فيما ألفه هيكل،بل يكاد يكون عمدة في كل ما ألفه عن الرسول الكريم عليه الصلاة و السلام،وكذلك يعد الكتاب فاتحة عهد فكري عربي السمات بالنسبة لهيكل،إذ أن دراسته الواسعة للإسلام و مقوماته ومميزات جعلته يرى الصواب الذي التزمه إلى النهاية،وهو أن الطريق السليم إلى إيجاد نهضة فكرية و حضارية للعالم العربي لا تتحقق إلا ببعث الماضي الكريم،و إذا عرفنا بعد دلك أن صاحبنا قد أعلن صراحة بسبب هدا التأليف هو اهتداء الإنسانية إلى الطريق الصحيح لأن من أجل دلك حنيفا خليقا بكل من يتصدى للبحث في مثل هدا الموضوع أن يتوجه إلى الإنسانية كلها لا إلى المسلمين وحدهم فليست النهاية الصحيحة،منه دينية محضة،كما يظن بعضهم بل النهاية الصحيحة منذ قد تعرف الإنسانية كيف تسلك سبيلها إلى الكمال الذي دلها محمد على طريقه.[2]

ومن الجلي أنه في وسعنا أن نخطو خطوات أخرى بالطريقة نفسها كل من تأثر بالاستشراق من كتاب العرب المحدثين أمثال "أحمد أمين،زكي مبارك،محمدكرد علي،ومنصور فهمي،عباس محمود العقاد،و أمين الخولي،أحمد حسن الزيات،محمد مندور،ومالك بن نبي و غيرهم"و لكننا سنتخطى هدا الموكب العظيم الذي أسدى إلى أدبنا المعاصر و نأخذ على سبيل المثال لا الحصر "سهير القلماوي" التي درست أدب الخوارج بتوجيه أستاذها "طه حسين" الذي يعلن صراحة عن

[1] سعد ظلام :من الظواهر الفنية للشعر الجاهلي.دار المنار للطباعة و النشر.مكتبة الأسد دمشق.ط2 .سنة 1992.ص 616
[2] أحمد سمايلوفيتش:المرجع نفسه.ص 616

تأثرها بالاستشراق حين يقول:"وجهتها إلى دراسة أدب الخوارج حين رسالتها لدرجة الماجيستير فلما

ظفرت بهده الدرجة أبيت إلى أن تسافر إلى أوروبا لتلقى جماعة المستشرقين الدين يعنون بهده الدراسات،فتسمع منهم من لقيت من الأساتذة المستشرقين و اختلفت إلى دروسهم و استرشدت بهم في بحثها و زارت المكتبات و جمعت لنفسها من هدا كله قدرا صالحا من العلم،ثم عادت إلى مصر فلم ترح و لم تسترح،و إنما مضت في دراستها "لألف ليلة و ليلة"جادة إلى أقصى الحدود موفقة في هدا الدرس إلى أبعد غايات التوفيق الممكنة حتى أتمت هدا الكتاب..... وقد أرادت "سهير القلماوي" أن يرفع الأدب الشعبي إلى حيث يشغل العلماء و الباحثين،و حاولت أن ترفع "ألف ليلة وليلة"أول ما ترفع من دلك....هدا الكتاب الذي تحسبه قريبا منك بعيدا عنك ومن هدا المتخيل الذي يعتمد على العقل ويسافر أدق مناهج البحث و يدل على صدق كلمات عميد الأدب العربي كتاب سهير القلماوي المذكور من أوله إلى أخره و خاصة قسمه الأول،حيث عالجت موضوع ألف ليلة وليلة في الشرق و الغرب مؤكدة اهتمام الاستشراق بهذا الأثر الأدبي العظيم و مجهود أصحابه في القرنين الأخيرين في البحث.[1]

نتجه إلى أحدث نوع من أثر الاستشراق في الأدب العربي المعاصر الذي أثار ضجة فيه و هو محاولة "فالتير براون" الحديثة في تفسير ظاهرة النسيب في افتتاحيات القصيدة الجاهلية مؤسس نظريته أصلا على الفلسفة الوجودية[2].ادن فما هي نظريته هده؟كيف تلقنها العرب المحدثون؟ يشرح لنا "فالتير براون"نظريته بعد مقدمة موجزة مبينا فيها حب الإنسان للمعرفة مما هو معروف عند" أرسطو" ثم قال:"مرادي أن أقدر بعض الملاحظات في الشعر الجاهلي،ما الذي أجرؤ عليه؟أنا بعيد عن هدا الموضوع،اذ لست أشعر بمعنى الكلمات شعورا غريزيا بل أترجم النصوص،كلمة بصعوبة عظيمة لست أسمع صوت الألفاظ الداخلي،بل أكتفي بالمعنى الظاهري....الموضوع كما

[1] أحمد سمايلوفيتش:المرجع نفسه.ص 618 -619

[2] المرجع نفسه.ص 922 -623.

تعرفون بحر لا ساحل له....مرادي أن أجده مستلفتا نظركم إلى صدد واحد وأن أتكلم عن دلك المطلع الذي يفتتح به الشاعر قصيدته و هو النسيب:ادن ما معنى هدا النسيب الغريب الذي تقرؤوه في قصائد عديدة؟" و لم يدخل المستشرق إلى شرح نظريته إلا بعد أن دهب إلى عالم من علماء العرب

القدامى مستدعيا إياه لمساعدته،وعندما جاء إليه أخد يسأله عن حقيقة المشكلة؟وهاهو "ابن قتيبة" هدا من حديثه الشيق،فاعتمد على جزء منه فحسب ثم أردف قائلا:"ادن هدا هو تفسير ابن قتيبة النسيب من رأيه جزء القصيدة الذي يميل به الشاعر إلى انتباه سامعيه.ما أغرب هدا التفسير هل هدا الرأي قريب الاحتمال؟لا أظن وهدا على تأمل بسيط:الشاعر عضو في المجتمع البدوي مشترك في حياة عرب الجزيرة و بيئتهم:ومن المفهوم أن كل ما يسوقه من وصف للناقة والصحراء ومن فخر بالقبيلة هجاء العدو جدير يجدب انتباه مجتمعه....فانه رجل حضري يعيش في مجتمع متحضر بعيد عن البداوة غاية البعد[1]

في هدا المجتمع الحضري أنشد "أبو نواس"بتهكم الأبيات المشهورة:

عاج الشقي على رسم يسائله و عجب أسأل عن خمارة البلد

يبكي على طلل الماضينا من أسد لا در درك،قل لي من بنو أسد

ومن تميم،ومن قيس و لفهما

هدا ما قاله "أبو نواس" متهكما في وقته البعيد عن البداوة،وبعد أن فسر اهتمام المجتمع البدوي لبيئته و عناية الشاعر بوصفها دهب مؤكدا:"هدا التأمل البسيط،ما يظهر لي،على أن "ابن قتيبة" مع عمله العظيم غلط في تفسير أسباب النسيم".وها هو يحاول أن ينفد إلى خبايا نظريته

[1] أحمد سمايلوفيتش:المرجع نفسه.ص 623

قائلا:"وأكرر السؤال عن هدا النسيب ما هو سببه؟دلك هو الحب و الصبابة،والشوق إلى الحبيب كثير من القصائد يثبت الرأي فانه النمط المعتاد[1]

و أخيرا نود أن نشير إلى نوع آخر من أثر الاستشراق في الأدب العربي المعاصر إذ نجدوا شاعرا له مكانته في الدوائر الأدبية و لدى دواوينه الشعرية،وله آراؤه النقدية أيضا وهو "أحمد سعيد"أو كما يسمي نفسه "أودنيس"،الذي نال الدكتوراه في الأدب العربي من معهد الدراسات الشرقية في الجامعات اليسوعية ببيروت،وكان عنوانها:"الثابت و المتحول في الإتباع و الإبداع عند العرب"حيث حاول أن يهدم صرح العروبة الشامخ ويثبت أن أصحاب غير مبتكرين و مبتدعين ويبرهن أنهم لم يقدموا شيئا للإنسانية[2] .

[1] المرجع نفسه.ص 624
[2] أحمد سمايلوفيتش:المرجع نفسه .ص 632

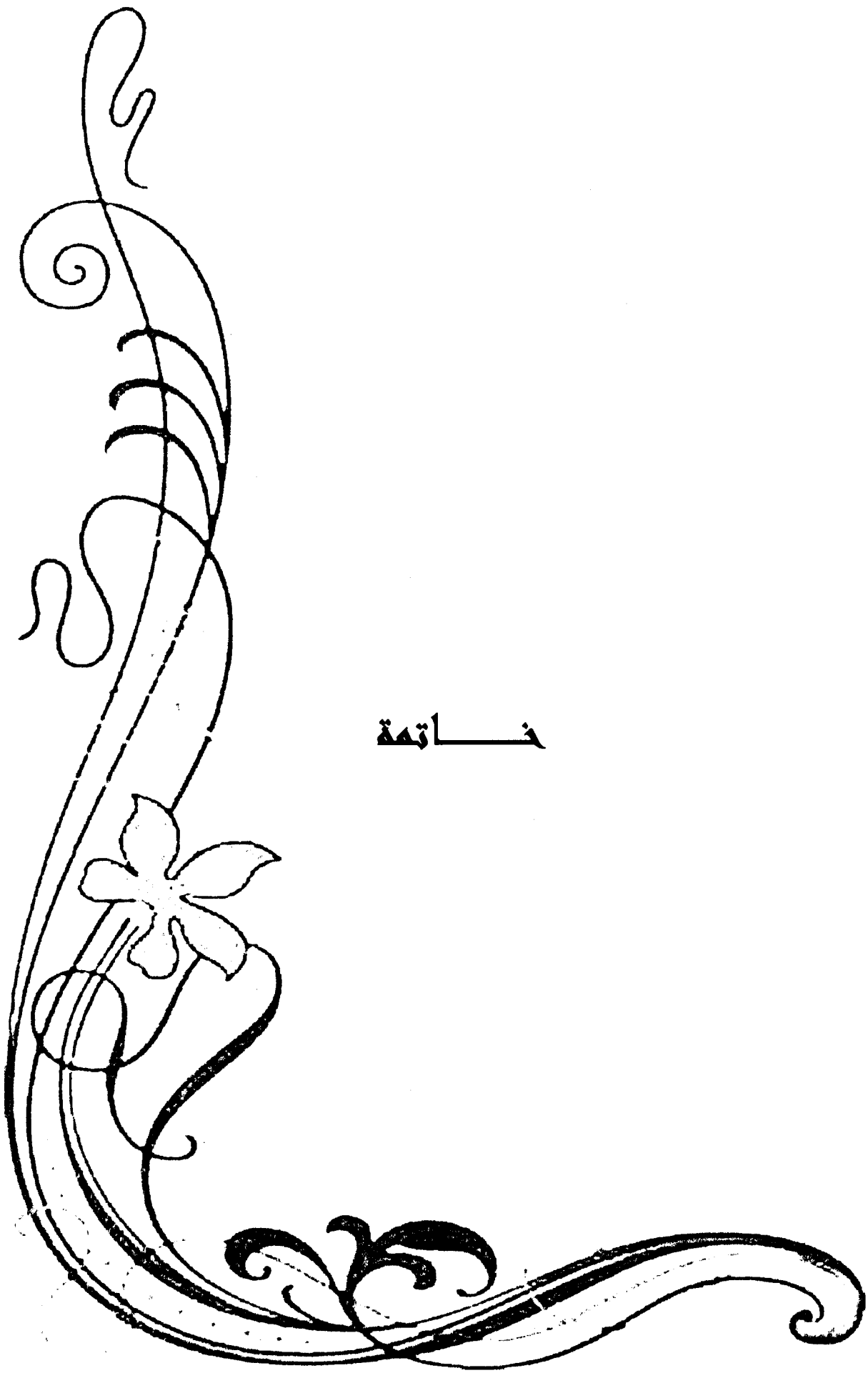

خـــــاتمة

لقد تحققت لنا من خلال دراستنا هاته بعض النتائج،رصدنا كالتالي:

*كان للمستشرقين تأثير كبير في المجالات الثقافية التي سجلت على مستوى الأدب العربي فقد حاولوا تطبيق نظرياتهم عله من خلال أرائهم و ما تميزوا به من عمل دؤوب متواصل وجهد مضاعف.

*قد وفر المستشرقون مجموعة من الوسائل لتحقيق أهدافهم التي منها تعلم اللغة العربية و حفظ تراثنا و كشف آثارنا و إحيائها،وكذلك عن طريق النشر و الترجمة و لدلك لا يمكننا أن ننكر الدور الهام الذي لعبوه من أجل نشر تراثنا فبفضلهم تعرفنا عله أكثر فقد حافظوا عليه و نشروه في أجمل حلة له.

*لا ننكر ما قدمه المستشرقون للغة العربية و الأدب بصفة عامة من خلال كل ما قاموا به من خدمات وتتمثل في :

-التعريف باللغة العربية و كل ما يتعلق بها من خلال الجامعات والمعاهد التي أنشأوها فتعرف العرب على العالم العربي،والجامعات العربية التي درسوا بها وشاركوا في إعدادها ودرسوا فيها أيضا من خلال تحقيق طموحاتهم العلمية فسهروا على دلك.

-لقد حرصوا على العمل المتواضع فبدلوا جهودا جبارة و أموالا طائلة و وقتا كبيرا لتحقيق بحوثهم هده،وكانت أهدافهم مختلفة ومتباينة فقد أظهر بعضهم عداءهم و كرههم للعرب و المسلمين فوضعوا بينهم وبين الشرق حاجزا و أعطوا الأحقية لأنفسهم للاستيلاء على كل ما عندهم و استعمارهم ضانين أنه حق من حقوقهم

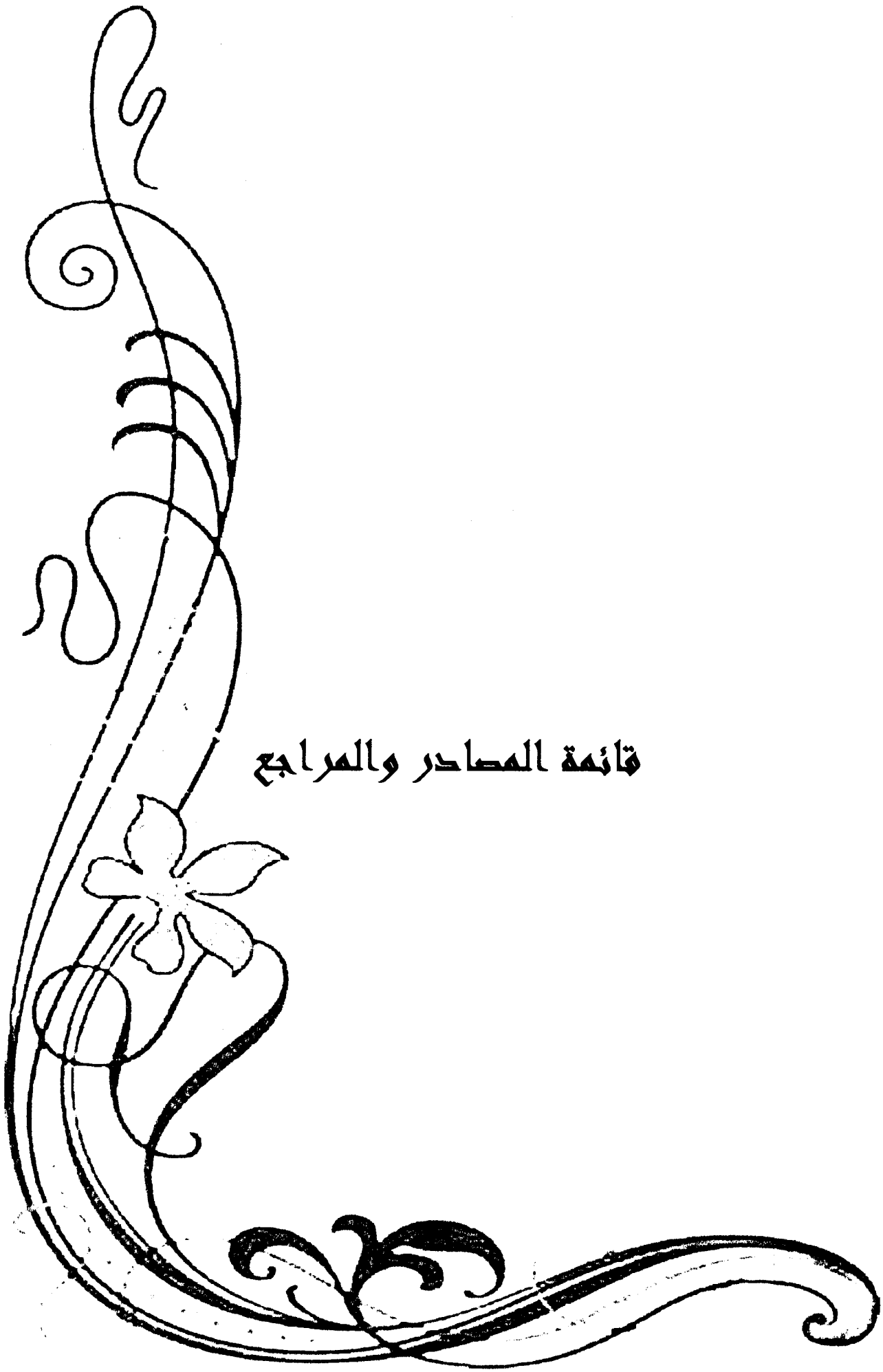

قائمة المصادر والمراجع

1_ابن منظور:لسان العرب.دار المصادر.ط1(1410 ه-1990م).بيروت.

2-إسحاق موسى:الاستشراق.نشأته.تطوره.أهدافه.مطبعة الأزهر.القاهرة.سنة 1967.م

3-أحمد سمايلوفيتش:فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي الحديث.دار الفكر العربي .القاهرة.سنة 1998م

4 أحمد الشرباصي:التصوف عند المستشرقين.سلسلة الثقافة الإسلامية.1966م.

5-أحمد غراب:الاستشراق رؤية إسلامية.كتاب المنتدى.البيان.

6-إسماعيل أحمد عمايرة:بحوث في الاستشراق و اللغة.كلية الآداب الجامعية الأردنية.دار وائل للنشر.

7-أنور الجندي:خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث.دار الكتاب اللبناني.مؤسسة خليفة للطباعة.

8-أنوور محمود الزناتي:زيارة جديدة للاستشراق مع دراسات للرؤية الاستشراقية المنصفة للرسول (ص).مكتبة لانجلو المصرية.

9-خالد أحمد أبو الجندي:الجانب الفني في القصة القرآنية.منهجها وأسس بناؤها.دار الشهاب للطباعة والنشر.باتنة

10-سعد ظلام:من الظواهر الفنية في الشعر الجاهلي.دار المنار للطباعة و النشر.مكتبة الأسد.دمشق.ط2.سنة 1992م

11-سعدون محمود الساموك:الوجيز في علم الاستشراق.دار المناهج للنشر و التوزيع و المناهج.عمان.ط2.1423ه-2003م.

12-سعيد ادوارد:الاستشراق.المفاهيم الغربية للاستشراق/تر محمد عناني.

13-عباس محمود العقاد:أثر العرب في الحضارة الأوروبية.دار المعارف بمصر.ط8

14-عبد الوهاب دحان:رسالة دكتوراه:النص القرآني في الخطاب الاستشراقي الفرنسي الحديث(المرجعية و التشكيل)كلية الآداب و اللغات.قسم اللغة و الأدب.جامعة أبو بكر بلقايد.2010م-2011م.

15-عفاف سيد صبرة:المستشرقون و مشكلات الحضارة.دار الفكر العربي.القاهرة.ط2. 1997

16-عمر عودة الخطيب:لمحات في الثقافة الإسلامية مؤسسة الرسالة.ط4 1419ه -1998م

17-عمر فروخ:الاستشراق بحث المستشرقون(مالهم وما عليهم).سلسلة كتب الثقافة المقارنة.العدد1 .

18- محمد إبراهيم الفيومي:الاستشراق رسالة استعمار.دار الفكر العربي.القاهرة.مصر.سنة 1993 م.

19-يحيى مراد:افتراءات على الإسلام والرد عليها.دار الكتب العلمية.بيروت.لبنان.ط1.2004م

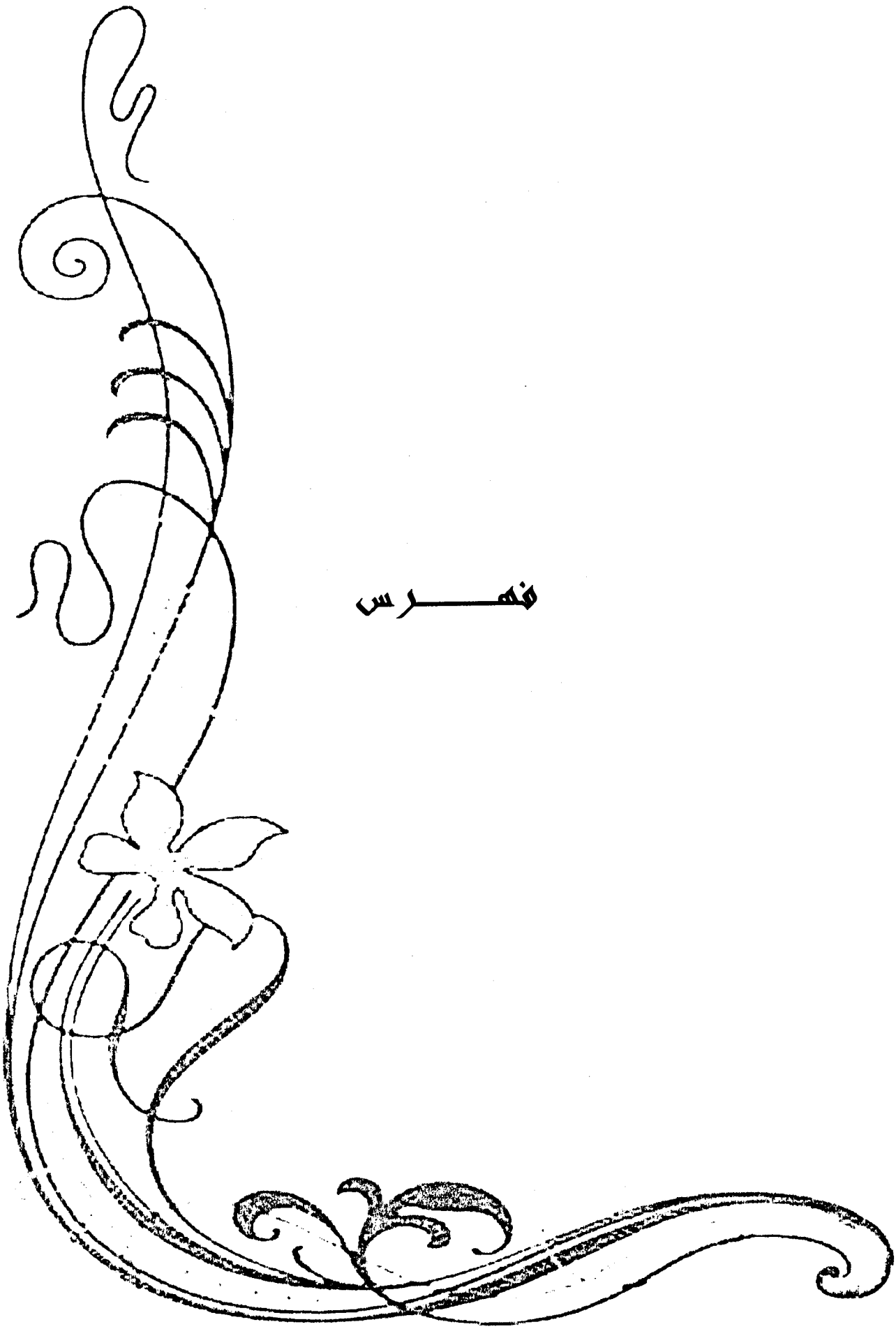

فهـــــرس

الفهرس

دعاء.....

إهداء.....

شكر .....

المقدمة..... أ

التوطئة..... 1

الفصل الأول: مفهوم الاستشراق 07

المبحث الأول: حول الستشراق..... 07

المبحث الثاني: نشأة الاستشراق..... 14

المبحث الثالث: دوافع الاستشراق 21

الفصل الثاني:أثر الاستشراق في الأدب العربي الحديث 31

وسائل الاستشراق 31

ميادين الاستشراق 38

طبيعة تأثيره 49

خاتمة .....

قائمة المصادر و المراجع .....